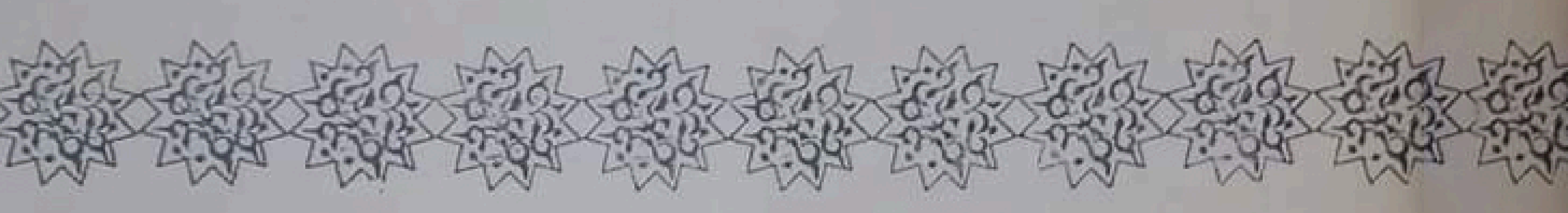


تأليف
الشيخ عبد الرحمن النجار



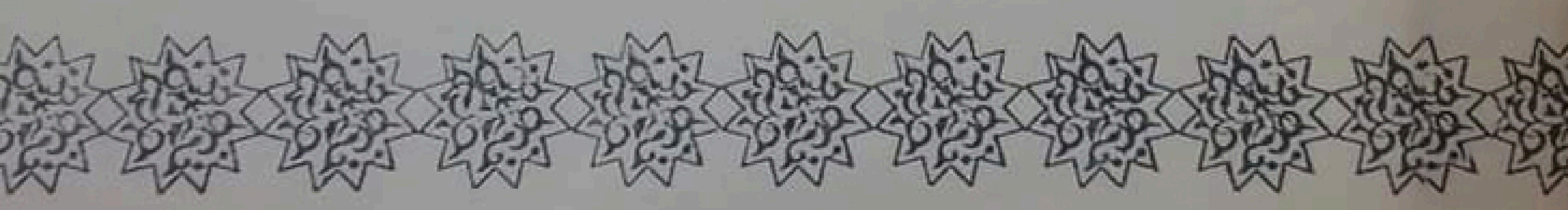
جمهورية مصر العربية
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة التعريف بالإسلام

جمهورية مصر العربية
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة التعريف بالإسلام

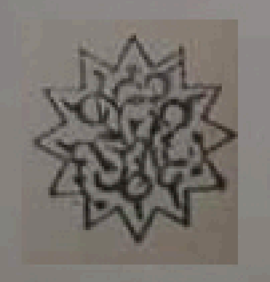


الإسلام في الصومال

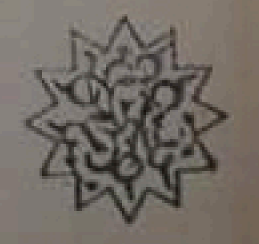
الشيخ عبد الرحمن النجار



الكتاب رقم ٧٩
رجب ١٣٩٣ ـ اغسطس ١٩٧٣



يشرف على إصدارها : محمد توفيق عويضة



أولا : لمــاذا اخترت هذا البحث ؟ ؟

اخترت هذا البحث للأسباب الآتية :

أولا : لقد نشأ الاسلام فى شبه الجزيرة العربية ، وهو ليس دينا اقليميا خاصا بأمة دون أمة ، ولا بأرض دون أرض ، انما هو دين عام خـــالد .. حسبما قال تعالى مخاطبا نبيه الكريم بقوله : (وما أرسلناك الا رحمـــة للعالمين) وحسبما قال : (وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ). اذن وجب على المشتغلين بالدعوة الاسلامية بخاصة أن يتعرفـــوا على امتداد الاسلام فى مختلف القارات والأمم والشعـــوب ، حتى يتمكنوا من الاسهام فى تنشيط الدعوة اليه ، وفى حمله الى الشعوب التى لم تبلغهـــا رسالة ، وهو واجب علماء الدين امتثالا لقول الله تعالى : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) .

ثالثا : الصومال يقع على شاطىء المحيط الهندى شرقا وعلى باب البحث أن هناك من يـــرى ان نوره وصل اليه أيام هجرة المســـلمين الى الحبشة فى السنوات الأولى للدعوة بعد اشتداد أذى المشركـــين عليهم ، فكون الاسلام قد وصل الى الصوماليين على حـــد هذا الفهم قبل وصوله الى مصر فهو اذن بلد عريق فى الاسلام .

ثالثا : الصومال يقـــع على شاطىء المحيط الهندى شرقـــا وعلى باب المندب شمالا عند مدخل البحر الأحمر من جنوبه ومصر تقـــع على مدخل البحر الأحمر من شماله ، فهناك ارتباط عضوى فى الموقع بين الصومال ومصر .

رابعا : المنطقة التى يقع فيها الصومال تســـمى قرن أفريقيا ، وهى منطقة لها أهميتها فى انطلاق الاسلام فى سائر افريقيا ، هذه القارة البكر التى لا تزال فيها الوثنية ضاربة أطنابـــها ، والتبشير المسيحى قـــائم على قدم وساق يحاول أن يسبق ليحول هؤلاء الوثنيين الى المسيحية .

خامسا : النشاط التبشيرى فى الصومال يقوم بنشاط مخطط ومدروس وتتنافس الكنائس الثلاث فى هذا النشـاط ، الكنيسـة الكاثوليكية يرسم لها الفاتيكان نشاطها وخصوصا وان الاقليم الجنوبى من الصومال كان تحت الاستعمار الايطالى ، الذى كان يدفع بالمبشرين الكاثوليك ليلعبوا دورهم فى زحزحة العقيدة الاســـلامية لهذا الشعب ، وقد رأيت بعينى وأنا أعمل هناك نشاطا واضحا لواحد من هؤلاء — المبشرين واســـمه فيســـنبور فيلبينى وكان يتمتع فى عهد الوصاية الدولية على الصـــومال بالحصـــانة

الدبلوماسية وسيارته تحمل علم الفاتيكان ، وعلى لوحتهـا عبارة هيئة سياسية فهو رجل سياسة متستر بالدين .

ويضاف الى ذلك نشاط الكنيسة الارثوذكسية وتوجهها اثيوبيا المتاخمة للصومال وهناك القنصل الاثيوبى يلعب دوره فى توجيه هذا النشاط .
ثم طرأ أخيرا نشاط بروتستانتى حملته أمريكا معها وهى تقدم مساعدات للصومال وتنقب على البترول وعن المعادن .

سادسا : واخترت هذا البحث بالذات لخبراتى بهذا الشعب وايمانى بأصالته الدينية وتمسكه بعقيدته وحبه لمصر وللأزهر بصفة خاصة لما يقوم به من رسالة جليلة فى الحفاظ على كتـاب الله وسنة رسـوله وعلى اللغة العربية ، فلقد عملت هناك رئيسا للبعثة الأزهرية وشيخا لمعهد الدراسات الاسلامية ومكثت هناك من عام ١٩٥٧ الى عام ١٩٦٣ أى قبل الاستقلال وبعده فالصـومال الشمالى اسـتقل فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٦٠ والصومال الجنوبى استقل واتحد مع الشمالى فى أول يوليو سنة ١٩٦٠ وتعرفت عن قرب على طبيعة هذا الشعب وعاداته وتقاليده وتعرفت على كثير من مختلف طبقاته وطوائفه وأسلوب الدعوة المناسب له ، وبالتالى يمكن التخطيط للنشـاط الدينى هناك ، تخطيطا قائما على الدراسـة العلمية السليمة التى تحقق الهدف المرجو منا ، ويمكن للدعوة أن تستفيد حقا من جهود البعثات الأزهرية والتعليمية هناك ، فضلا عن البعثات الاعلامية والاقتصادية والطبية .

من أجل ذلك كله اخترت الكتابة فى هذا البحث وأرجو الله توفيقـه لأرسم صورة صادقة عن هذا الشعب الشقيق وأبين كيف نسـتفيد من بعثاتنا فى الدعوة الى الله لا فى هذه المنطقـة وحـدها ، ولكن لننطـلق بها الى سـائر أفريقيا حتى نربط بين نشاطنا فى الصومال ونشاط المركز الاسلامى فى تنزانيا ونشاطنا فى نيجيريـا وفى موريتانيا الاسـلامية التى تقع فى غرب أفريقيا ، حتى يتصل هذا النشاط بالشمال الافريقى المسلم ويلتحم مع مصر ويواصل مسيرته نحو السودان الشقيق . فتلف أفريقيا كلها بحزام اسلامى يصد عنها غارات التبشير التى يدفع بها الاستعمـار ليعطى لأهل البلاد الانجيل ويأخذ منهم الأرض ...

ثانيا : التعريف بالبحث

١ — بدأت بمقدمة موجزة عن الاسلام فى أفريقيا بوجه عام ، وكيف دخلها هذا الدين الحنيف ؟ وتوزيع المسلمين اليوم فى أفريقيا .

٢ — ثم تكلمت عن الصومال فى أبواب خمسة :

الباب الأول : الملامح العامة للبيئة الصومالية : وقسمت هذا الباب الى اربعة فصول :

١ — البيئة الطبيعية .

٢ — الجانب الاقتصادى .

٣ — الجانب الاجتماعى .

٤ — الجانب الثقافى .

الباب الثانى : الروابط بين مصر والصومال فى الماضى والحاضر . وقسمت هذا الباب الى ثلاثة فصول :

١ — عصر ما قبل التاريخ .

٢ — العصر الفرعونى .

٣ — الصومال وبلاد العرب .

الباب الثالث : الصومال الاسلامية : وقسمت هذا الباب الى اربعة فصول :

١ — تاريخ دخول الاسلام الى الصومال .

٢ — عوامل انتشاره .

٣ — الطرق الصوفية وأثرها فى نشر الاسلام .

٤ — أثر المساجد فى الحفاظ على الشريعة الاسلامية واللغة العربية .

الباب الرابع : الصومال ومصر فى القرن التاسع عشر .

وهذا الباب ذو فصل واحد هو عن الادارة المصرية فى الصومال فى مناطق هرر ، وبربره وملحقاتها وفى زيلع وملحقاتها حتى وصلت الى كسمايو .

الباب الخامس : علاقة الصومال بمصر فى الوقت الحاضر ويشتمل على ثلاثة فصــــول :

١ ــ دور مصر فى استقلال الصومال واحباط المخططات الاستعمارية.

٢ ــ الصومال بعد الاستقلال وحركة التعليم ونشر الوعى الدينى .

٣ ــ الصومال بعد ثورة ٢١ أكتوبر سنة ١٩٦٩ .

٤ ــ ثم الخاتمة : عن مقترحاتى لتنشيط الدعوة الاسلامية فى هذه البلاد الشــــقيقة .

٥ ــ وملحق لبعض المخطوطات .

٦ ــ تعليق شرعى على استباحة دم من نطق بالشــــهادتين اذا خــــان وطنــــه .

ثالثا : مراجعى فى هذا البحث

١ — الدعوة الى الاسلام تأليف سير توماس وأرنولد ترجمة د. حسن ابراهيم حسن .

٢ — الالمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام — المقريزى .

٣ — بغية الآمال فى تاريخ الصومال للشريف عيد روس مطبــوع فى الصومال .

٤ — الاسلام والتفرقة العنصرية — دكتور عبد العزيز كامل .

٥ — الصومال الكبير — للدكتور راشد البراوى .

٦ — الاسلام فى أفريقيا — عبد الواحد الامبابى .

٧ — نشأة القومية فى افريقيا محاضرة للدكتور على رفاعه الانصارى.

٨ — مؤامرة فى افريقيا — أحمد بهاء الدين .

٩ — كفاح الحياة — ابراهيم حاش محمود الصومالى .

١٠ الصومالية بلغة القرآن — ابراهيم حاش محمود .

١١ — التعليم فى الصومال — ابراهيم حاش محمود .

١٢ — خطر العصبية على الصومال — سيد حمد شيخ موسى الازهرى الصومالى .

١٣ — حزب الله وحزب الشيطان — سيد احمد شيخ موسى الازهرى الصومالى .

١٤ — الا ان حزب الله هم المفلحون — سيد احمد شيخ موسى الأزهرى الصومالى .

١٥ — الصومال قديما وحديثا — الاستاذ حمدى السيد سالم .

١٦ — الجمهورية الصومالية — الاستاذ عبد المنعم عبد الحليم .

١٧ — جغرافية الصومال — الاستاذ عبد الفتاح هندى .

١٨ — تاريخ الصومال — الاستاذ عبد الفتاح هندى .

١٩ — موجز فى تاريخ أفريقيا تأليف ى. شافلييف تعريب أمين الشريف .

٢٠ ــ بحث موضوعه ميزانية الصـــومال قبل الاستقلال وبعـــده . عبد الرحمن النجار .

٢١ ــ دستور حزب وحدة الشباب الصومالى .

٢٢ ــ فتوح الحبشنة للمؤرخ العربى شهاب الدين عبد القادر الملقب عرب فقيه .

٢٣ ــ حاضر العالم الاسلامى ــ لشكيب أرسلان .

يزاد على ذلك المخطوطات التى اطلعت عليها عند شيوخ الصـــومال وعلمائهم ــ واتصالاتى الشخصية بهم ، وتعرفى المبـــاشر على عاداتهم وتقاليدهم أثناء رحلاتى التى شملت كل أقاليمه بل كل قرية من قراه .

مقدمة

١ - الإسلام في إفريقيا
٢ - كيف دخل إليها الإسلام؟
٣ - توزيع المسلمين فيها اليوم

الباب الخامس : علاقة الصومال بمصر فى الوقت الحاضر ويشتمل على ثلاثة فصـــول :

١ ـــ دور مصر فى استقلال الصومال واحباط المخططات الاستعمارية.

٢ ـــ الصومال بعد الاستقلال وحركة التعليم ونشر الوعى الدينى .

٣ ـــ الصومال بعد ثورة ٢١ اكتوبر سنة ١٩٦٩ .

٤ ـــ ثم الخاتمة : عن مقترحاتى لتنشيط الدعوة الاسلامية فى هذه البلاد الشـــقيقة .

٥ ـــ وملحق لبعض المخطوطات .

٦ ـــ تعليق شرعى على استباحة دم من نطق بالشـــهادتين اذا خـــان وطنـــه .

ثالثا : مراجعى فى هذا البحث

١ — الدعوة الى الاسلام تأليف سير توماس وارنولد ترجمة د. حسن ابراهيم حسن .

٢ — الالمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام — المقريزى .

٣ — بغية الآمال فى تاريخ الصومال للشريف عيد روس مطبـــوع فى الصومال .

٤ — الاسلام والتفرقة العنصرية — دكتور عبد العزيز كامل .

٥ — الصومال الكبير — للدكتور راشد البراوى .

٦ — الاسلام فى أفريقيا — عبد الواحد الامبابى .

٧ — نشأة القومية فى افريقيا محاضرة للدكتور على رفاعه الانصارى.

٨ — مؤامرة فى افريقيا — أحمد بهاء الدين .

٩ — كفاح الحياة — ابراهيم حاش محمود الصومالى .

١٠ الصومالية بلغة القرآن — ابراهيم حاش محمود .

١١ — التعليم فى الصومال — ابراهيم حاش محمود .

١٢ — خطر العصبية على الصومال — سيد حمد شيخ موسى الازهرى الصومالى .

١٣ — حزب الله وحزب الشيطان — سيد احمد شيخ موسى الازهرى الصومالى .

١٤ — الا ان حزب الله هم المفلحون — سيد أحمد شيخ موسى الأزهرى الصومالى .

١٥ — الصومال قديما وحديثا — الاستاذ حمدى السيد سالم .

١٦ — الجمهورية الصومالية — الاستاذ عبد المنعم عبد الحليم .

١٧ — جغرافية الصومال — الاستاذ عبد الفتاح هندى .

١٨ — تاريخ الصومال — الاستاذ عبد الفتاح هندى .

١٩ — موجز فى تاريخ أفريقيا تأليف ى. شافلييف تعريب أمين الشريف .

١ — الاســلام فى أفريقيــا

يهتم المؤرخون بقضية الوجود الاسلامى فى أفريقيا ، لمــا له من أثر واضح فى تشكيل حياة أبنائها الاجتماعية والفكرية ، وفى أحداث تطورات شاملة كان لها أثرها فى خلق امبراطوريات قامت فى غرب ووسط وشرق أفريقيا ، وأدت دورها فى طبع حياة الافريقيين بالطابع الحضارى الممتاز ، وفى فتح طريق الاتصال بالعالم الخارجى على قدم المساواة وقد أحــدث هذا الدين الجديد بمبادئه المثالية الرائعة لحملته والداعين اليه تفــاعلا فى القارة ، أخرجها من عزلتها ومن تقوقعها على عاداتها البدائيــة الى الحياة الرحبة بما فيها من علم وحضارة ومدنية وارتقاء .. ومساحة هذه القارة تبلغ ١٢٢٦٢٠٠ ميلا مربعا يسكنها حوالى مائتى مليون نسمة . وعدد المسلمين منهم أكثر من تسعين مليون نسمة . هذا العدد الضخم لو هيئت له الفرصة للقيام بواجبه نحو دينه لأحدث أثرا قويا فى حركة الدفع الثورى للدعوة الاسلامية وذلك نظرا لمــا تتمتع به هذه القــارة ، من امكانيات اقتصادية وبشرية هائلة . ففى الجانب الاقتصادى تجدها تنتج جميع المحاصيل الزراعية وبكميات ضخمة ، ولها ثروتها المعدنيــة التى بلغت من الضــخامة حدا جعــل انتاجها من الماس مثلا يصــل الى ٩٨ ٪ من الانتاج العالمى ومن الذهب ٥٥ ٪ منه ، ومن النحاس ٢٢ ٪ وغيرها .. وفضلا عن ذلك فلها موقعها الاستراتيجى الهام ، فحدودها الغربية تقع على المحيط الاطلسى ، والشرقية يحدها المحيط الهندى الذى يتصل بالبحر المتوسط عن طريق البحر الأحمر ، وشمال أفريقيا يقع على البحر المتوسط ..

•

هذه المميزات جعلت الاستعمار يحشد كل قواه ليغير عليهــا مثلا فى البرتغال حينما أغارت عليها فى القرن الخامس عشر الميلادى . وتتابعت بعــد ذلك غارات الدول الأوربية الاستعمارية وكانت الحركة الاسلاميــة تتأثر فى نشاطها وامتدادها بهذه الموجات المتتابعة من الغزو الاستعمارى . وحينما جاء الاسلام الى هذه القارة فى القرن الســابع الميلادى التقى بديانات كانت قد استقرت فيها شعوبها شعوب متدينة بطبعها ، وقد قال فى ذلك المؤرخ (موريس ديلانوس) فى كتابه حضارات الزنوج فى افريقيا :

(ما من نظام يشاهد بين قبائل أفريقيا ، سواء أكان نظاما اجتماعيــا أم سياسيا أم اقتصاديا الا وهو يرتكز على فكرة دينية ، أو أن الدين هو حجر الزاوية فيه ، تلك الشعوب التى ظن أحيانا أنها مجردة عن الفكرة الدينية هى فى الواقع من أشد شعوب الأرض تدينا) .

٢ — كيف دخل الاسلام الى أفريقيا ؟

دخل الاسلام افريقيا عن طريقين رئيسيين هما مصر فى الشمال الشرقى للقارة ، حيث انطلق الاسلام منها الى جهة الغرب التى نشرته فى غرب أفريقيا ، وانطلق منها جنوبا الى بلاد النوبة ، وسار غربا الى كردفان ودارفور . والطريق الثانى هو طريق الساحل الشرقى المواجه للجزيرة العربية ، والذى لا يفصله عنها الا البحر الاحمر ، ونجد بعض الجغرافيين يصفون هذا البحر بأنه مجرد كسر التوائى فى أرض واحدة جمعها مناخ وتضاريس متشابهة ، هذا الساحل قد قام بنشاط واضح فى نشر الاسلام فى معظم مناطق شرق أفريقيا وفى المناطق الوسطى من القارة ، وقد كان للتجار المسلمين الذين هاجروا اليها من الهند ومن الجزيرة العربية ، أثر واضح فى انطلاق الاسلام الى مختلف جهات هذه القارة ، وقد كان هؤلاء قدوة طيبة تتمثل فيهم أخلاقيات الاسلام من الحب والتسامح والعدل وكلمة الحق والنجدة والايثار والوفاء وما الى ذلك من أخلاقيات فاضلة فضلا عن بساطة الدين ويسره وسماحته ، الأمر الذى جعل الافريقيين يسارعون الى اعتناقه عن حب ورضا وطواعية ، ولم يكره أحد منهم على الدخول فيه ، لأن الاكراه ضد طبيعة هذا الدين ، فالقرآن الكريم يقول : (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) ويقول : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ويقول مخاطبا نبيه : (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) وقد وجدوا فيه فضيلة طيبة حبيبة الى قلوبهم تلك هى فضيلة المساواة بين كل من أبنائه ، فمن قال : لا اله الا الله محمد رسول الله كان أخا لكل مسلم . بصرف النظر عن نسبه وأصله وجنسه ، فالكل سواسية أمام الله ، ولا يفضل الواحد صاحبه الا بمقدار صلة بربه ، وبمقدار تخلقه بالأخلاق الفاضلة ونشر الخير بين الناس ، والقرآن الكريم يؤكد هذه الفضيلة فى قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .

والاسلام لا يعتبر الالوان داخلة فى تقييم الانسان — فلا فضل لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى والعمل الصالح ، وكان من أفاضل الصحابة أصحاب البشرة السوداء ولم يحسوا بأدنى فارق بينهم وبين غيرهم فمنهم المقداد بن الأسود الذى شهد مع الرسول بدرا وشهد المشاهد كلها ، ومن صحابة رسول الله بلال الحبشى ، وكان هو المؤذن لرسول الله ، والرسول هو الامام واذا كانت وظيفة المسجد الأساسية هى الامامة والأذان فقد تقاسما محمد بن عبد الله خير من طلعت عليه شمس وأكرم من أظلته سماء ، وبلال بن رباح الافريقى الأصل الذى كان مولى لرجل من قريش ، واشتراه أبو بكر وأعتقه من رق الأسر ونقرأ خطبة الوداع التى خطبها رسول الله يوم النحر بمنى ، فنجده يؤكد الاخوة الدينية بين الجميع ومما قاله فيها :

(أيها الناس ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه من أعمالكم ، ان كل مسلم

أخو المسلم ، وانما المسلمون اخوة ، ولا يحل لامرىء مسلم دم أخيه ولا ماله الا بطيب نفس منه ، وانما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله ولا تظلموا أنفسكم ولا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، انى قد تركت فيكم ما لا تضلون به : كتاب الله الا هل بلغت ؟ قال الناس : نعم . قال : اللهم أشهد (١) اذن انتشر الاسلام لبساطته ويسره ، وللقدوة الحسنة من الداعين اليه ولما يقرره من مساواة بين الجميع بلا فرق بين جنس وجنس ولون ولون .

وعلى الرغم من أن المسيحية تدعو الى المحبة والرحمة والسلام ، الا أن بعض المبشرين بها كانوا بعيدين عن هذه المبادىء السمحة ، واستمع الى هذه المناقشة التى حدثت بين أحد القساوسة وأفريقى فى السنغال .

يقول القسيس : لابد أن يكون الله أبيض فهو لم يخلق اللون الأسود فيما خلقه من ألوان النبات والأشجار والبحار ، هل رأيت ثلجا أسود ؟ أو مطرا أسود ؟ أو بحرا من الحبر ؟ هل رأيت ملاكا فى صورة سوداء ، هل رأيت نبيا أو رسولا جاء من الجنس الأسود ؟ ان كل هذا دليل على أن الله أبيض وأنه اختار الشعوب البيضاء لتقود الحضارة والانسانية (٢) ...

هذا نموذج لتفكير غير المسلمين فى علاقتهم بأبناء هذه القارة ، أما الاسلام فنجده ينظر الى الانسانية وكأنها حديقةكبيرة تختلف ألوان أزهارها دون أن يكون للون فضل على آخر — ولهذا ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه الذى يقول فيه : « أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبش » .

ونجد رسول الله يصف لقاءه بالرسل ليلة الاسراء والمعراج ، ويعطينا صورة لأهم ملامحهم فمنهم من غلبت عليه الأدمة ، أى السواد — ومعنى أدم فى اللغة العربية الأسود ومنهم كان أسمر اللون ومنهم كان أبيض اللون ، يذكر هذه الألوان جميعا دون أية تفرقة بينهم أو تفضيل على أساس من اللون ، ويذكر أن صلاة واحدة جمعتهم فى هذه الليلة المباركة .

وطبق المسلمون عمليا هذه التوجيهات . فليس للون أو الوضع الاجتماعى مكان فى تكوين الأسرة ، وكل ما يشترطه الاسلام هو التراضى والقدرة على تكوين البيت ، والقيام بأعبائه على أساس مستقر وهذا هو جوهر الكفاءة فى الاسلام ، ويقول رسول الله فى ذلك : (اذا آتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه أى زوجوه — الا تفعلوا ، تكن فتنة فى الأرض ، وفساد كبير) . ويقول الامام مالك : الكفاءة فى الدين لا غير ..

٣ — توزيع المسلمين فى أفريقيا اليوم :

على الرغم من الحروب الاستعمارية التى شنتها الدول الأوربية على افريقيا وعلى الرغم من — حركات التبشير بامكاناتها الضخمة التى

---

(١) اقناع الاسماع جزء ١ ص ٥٣٢ .
(٢) نشأة التديسية فى افريقيا د. على رفاعه الانصارى .

واكبت دخول الاستعمار الغربي الى هذه القارة ، وعلى الرغم من كل ذلك استطاع المسلمون فى أفريقيا أن يحافظوا على عقيدتهم ، بل أن المسلمين يزداد عددهم يوما بعد يوم ، ولو هيىء للاسلام وسائل الدعوة اليه فى أفريقيا بالأسلوب العلمى المنظم وبالتعاون المادى من المسلمين جميعا لكان للاسلام شأن آخر فى هذه القارة ، وعلى ذلك فأمامنا الآن احصائية بتوزيع المسلمين فى أفريقيا اليوم وهى وان كانت لا تبدو دقيقة فى تمثيلها للواقع الا أنها قد اعتمد عليها كثير من المؤرخين المحدثين فنذكرها مع هذا التحفظ :

أفريقيا الشمالية حوالى ٤٥ مليون نسمة
أفريقيا الغربية حوالى ٣٣ مليون نسمة
أفريقيا الجنوبية حوالى ٤ مليون نسمة
أفريقيا الشرقية والسودان ١٦ مليون نسمة

٩٨ مليون نسمة

وللمقارنة بين أثر الدعوة الى الاسلام والدعوة الى المسيحية فى أفريقيا نشر بحث لمجلة الكريستيان سانيس مونيتور نشرته منذ عامين وقد تعرض الباحث وهو قسيس مسيحى قام بزيارة طويلة لأفريقيا للظروف التى تمر بحركة التبشير المسيحى بها فقال(١) : على الرغم من الجهود الضخمة التى يقوم بها المبشرون المسيحيون فى أفريقيا وعلى الرغم من الأموال الطائلة التى تنفق على تحويل الأفريقيين الى الديانة المسيحية فان الأفريقيين أقل حماسا للدخول فى المسيحية منهم فى الاسلام فالاحصائيات الدقيقة التى أجريت فى أفريقيا قد أكدت أن دخول الافريقى فى المسيحية يقابله دخول ٨٧ من زملائه فى الاسلام وأستطيع أن أصرح بأن الظروف التى تكتنف المسيحية تعتبر السبب الأساسى فى هذه النتائج فهى ديانة الرجل الأبيض الذى يستعمر الرجل الأفريقى ويعامله فى شىء من القسوة والظلم وهذا ما لمسته بنفسى حين تحدثت الى بعض الأفريقيين فى غرب أفريقيا ، ثم انعزال رجال الدين المسيحى عن الحياة القومية الاجتماعية التى يعيشها الأفريقيون فالاندماج لا يتم الا فى حدود أداء الوظيفة الدينية فقط . كذلك يشعر بعض الأفريقيين الذين تحولوا الى المسيحية ان الأوروبيين وهم — فى نظرهم — أصحاب الدين المسيحى لا يطبقون تعاليم المسيح كما وردت فى الانجيل من اعطاء الفرد حريته وتمتعه بحقه فى المساواة مع غيره الخ يضاف الى هذه العوامل عامل آخر على جانب من الأهمية وأعنى به اصطدام تعاليم المسيحية أحيانا مع تقاليد الأفريقيين القومية . ثم يستطرد هذا الكاتب فيقول :

وحين نقارن الاسلام بالمسيحية نستطيع أن نقول — والأسف يملأ قلوبنا — أنه لا يزحف فى أفريقيا زحفا بطيئا مطردا بل يكتسح طريقه فى سرعة مذهلة فان عدد الافريقيين المسلمين قد أصبح يتجاوز اليوم الثمانيين مليونا هذا بالاضافة الى تزايده تزايدا مطردا وسريعا ، وقد أدركت حين لمست ذلك

---

(١) الاسلام فى افريقيا للاستاذ عبد الواحد الابيانى .

بنفسى أن الافريقيين ينظرون الى الاسلام على أنه دين الشرق المسالم الذى لم يستعمر أفريقيا ، وهناك سبب قوى لنجاحه وهو أنه يستطيع فى سهولة أن يتلاءم ، مع تقاليد الافريقيين القومية ، ثم أن اسلام الافريقيين يتم عن طريق مواطنيهم المسلمين وليس عن طريق رجال الدين وهو اعتبار له أهميته على أن هناك خطرا داهما على حياة المسيحية فى أفريقيا يكمن فى نشاط عواصم العالم الشمالى والشمال الشرقى فى أفريقيا وأعنى به خطر القاهرة وتونس والمغرب فالقومية العربية التى نادى بها ناصر ليست سوى حركة طليعية لنفوذ اسلامى عارم ومعاهد التعليم التى يهاجر اليها المسلمون الزنوج فى القاهرة وبلاد شمال أفريقيا ليست هى الأخرى سوى مصنع ينتج دعاة اسلاميين مزودين بمنطق عاطفى يكون لتأثيره بين مواطنيهم الوثنيين والمسيحيين بعد عودتهم فعل السحر .

ويختم الكاتب مقاله بقوله :

« وأخشى أن نظل هكذا ننفق الأموال الطائلة ونبعث بأبنائنا الى مجاهل أفريقيا فى الوقت الذى تسلم فيه قلاع المسيحية فى أفريقيا للاسلام ان علينا أن نتخذ قرارا حاسما وعمليا » .

جدول يبين الدول الأفريقية التى استقلت عام ١٩٥٠

رقم	اسم الدولة	تاريخ اعلان الاستقلال
١	ليبيا	٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١
٢	السودان	أول يناير سنة ١٩٥٦
٣	المغرب	٢ مارس سنة ١٩٥٦
٤	تونس	٢٠ مارس سنة ١٩٥٦
٥	غانا	٦ مارس سنة ١٩٥٧
٦	غينيا	٢ أكتوبر سنة ١٩٥٨
٧	الكاميرون	أول يناير سنة ١٩٦٠
٨	توجو	٢٧ أبريل سنة ١٩٦٠
٩	مالى	٢٠ يونيه ٢٢ سبتمبر ١٩٦٠
١٠	السنغال	٢٠ أغسطس سنة ١٩٦٠
١١	جمهورية ملجاش	٢٠ يونيه سنة ١٩٦٠
١٢	الكنغو (ليوبولدفيل)	٣٠ يونيه سنة ١٩٦٠
١٣	الصومال	أول يوليه سنة ١٩٦٠
١٤	داهومى	أول غسطس سنة ١٩٦٠
١٥	النيجر	٣ أغسطس سنة ١٩٦٠
١٦	الفولتا العليا	٥ أغسطس سنة ١٩٦٠
١٧	ساحل العاج	٧ أغسطس سنة ١٩٦٠
١٨	تشاد	١١ أغسطس سنة ١٩٦٠
١٩	جمهورية أفريقيا الوسطى	١٢ أغسطس سنة ١٩٦٠
٢٠	الكونغو (برازافيل)	١٥ أغسطس سنة ١٩٦٠
٢١	جابون	١٧ أغسطس سنة ١٩٦٠
٢٢	نيجيريا	أول أكتوبر سنة ١٩٦٠
٢٣	موريتانيا	٢٨ نوفمبر سنة ١٩٦٠
٢٤	سيراليون	٢٧ أكتوبر سنة ١٩٦١
٢٥	تنجانيقا	٩ ديسمبر سنة ١٩٦١ أصبحت جمهورية تنزانيا المتحدة فى أكتوبر سنة ١٩٦٤
٢٦	روانـدا	أول يوليه سنة ١٩٦٢
٢٧	بروندى	أول يوليه سنة ١٩٦٢
٢٨	الجزائر	أول يوليه سنة ١٩٦٢
٢٩	أوغندا	٩ أكتوبر سنة ١٩٦٢
٣٠	زنزبار وبمبا	١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٣ اتحدت مع تنجانيقا فى ابريل سنة ١٩٦٤
٣١	كينيا	١٢ ديسمبر سنة ١٩٦٣
٣٢	ملاوى	٦ يوليه سنة ١٩٦٤
٣٣	زامبيا	٢٤ أكتوبر سنة ١٩٦٤ (١)

(١) موجز تاريخ أفريقيا تعريب أمين الشريف ص ١٥٦ ، ١٥٧

الباب الأول

الملامح العامة للبيئة الصومالية

الفصل الأول

البيئة الطبيعية

تطلق كلمة الصومال على شبه جزيرة مثلثة الشكل فى شرق أفريقيا ، تسمى قرن أفريقيا الشرقى ، ويمكن تحديد شبه جزيرة الصومال بخط يمتد من خليج تاجورة فى الصومال الفرنسى متجها نحو الشرق بحذاء الساحل الجنوبى لخليج عدن الى رأس جرد فوى التى يسميها العرب رأس عسير ، ويسير بمحاذاة ساحل المحيط الهندى حتى نهر تانا فى شرق كينيا ، ثم يتجه نحو الشمال مارا بالمجارى العليا لنهرى شبيلى وجوبا وبمرتفعات هرر — ويسكن الصوماليون هذه المنطقة الشاسعة ، وتبلغ مساحة الصومال كله نحو مليون كيلو متر مربع يمتد من خط عرض ٢ درجة جنوبا الى خط ١٣ درجة شمالا ، ولهذا الموقع أهمية استراتيجية ممتازة لأنه يشرف على مدخل البحر الأحمر ، عند باب المندب بين الجنوب .

لذلك تنافس الاستعمار على وجوده فى هذا الموقع وقسمت الاطماع الاستعمارية فى الماضى أرض الوطن الواحد الى خمسة أقسام :

١ — ما يسمى بالصومال الفرنسى .

٢ — ما يسمى بالصومال البريطانى .

٣ — ما يسمى بالصومال الايطالى .

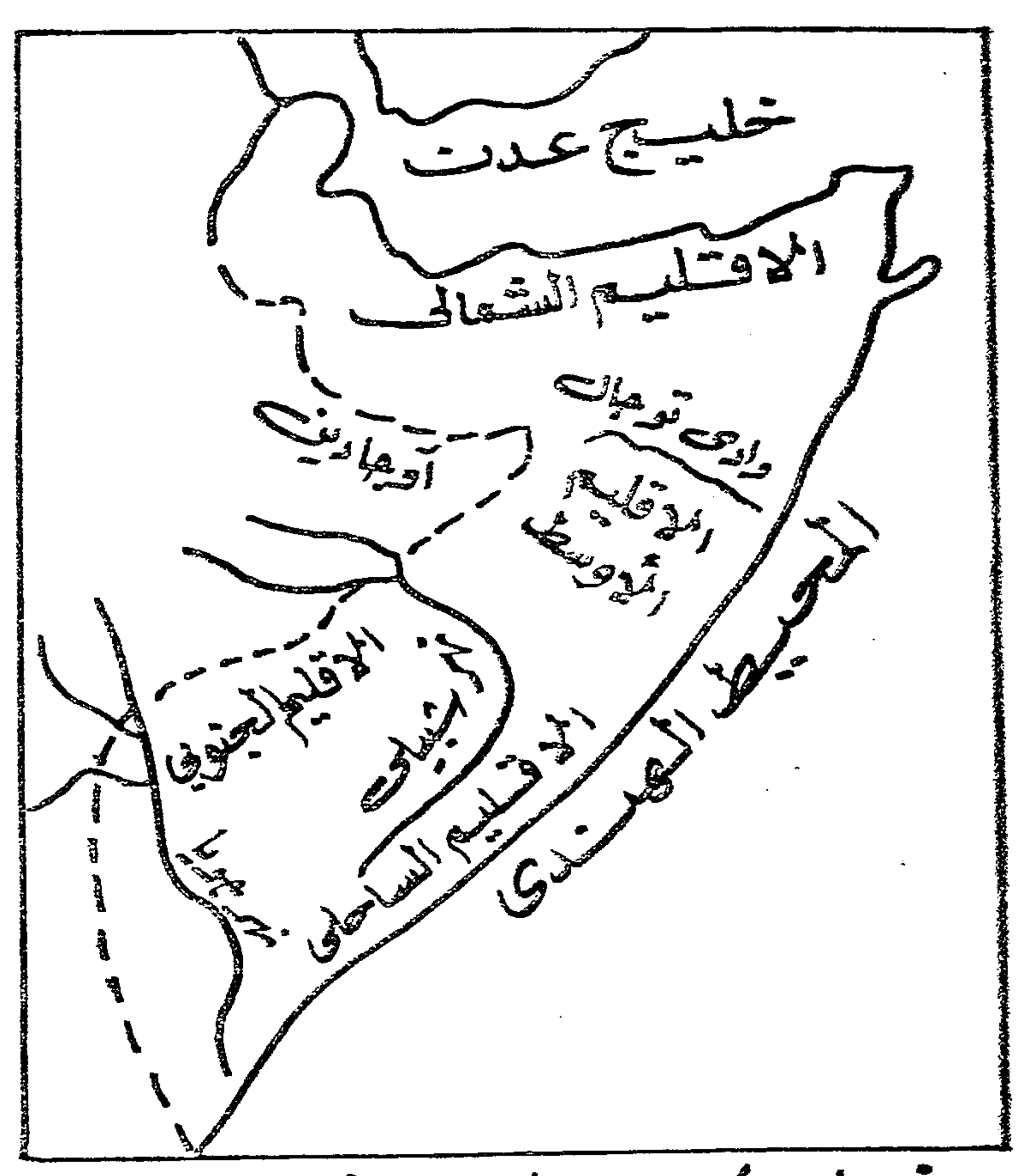
٤ — ما يسمى بالصومال الحبشى أو الأوجادين .

٥ — ما يسمى بالصومال الكينى .

ومنذ يوليو سنة ١٩٦٠ استقل الاقليمان البريطانى والايطالى واتحدا فى جمهورية ديمقراطية واحدة . وجمهورية الصومال هذه تبلغ مساحتها نحو ٥٩٧ر٥٤١ ميلا مربعا وتضم نحوا من مليونى نسمة من السكان وسطح الصومال عبارة عن سهول ساحلية ضيقة فى الشمال تمتد بمحاذاة ساحل خليج عدن والمحيط الهندى وتتسع هذه السهول فى الجنوب وترتفع الأرض تدريجيا كلما اتجهنا نحو الغرب ، ويبلغ أقصى ارتفاع لها فى منطقة الاجادين المتاخمة لهضبة الحبشة ، ويخترق الصومال نهران كبيران هما :

١ — نهر جوبا :

وينبع من أعالى هضبة الحبشة حيث تسقط الامطار الموسمية الغزيرة فى الصيف ويصب فى المحيط الهندى قرب مدينة فى الجنوب تسمى كسمايو .



خريطة الأقاليم الطبيعية فى الصومال

٢ — نهر شبيللى :

وينبع أيضا من أعالى هضبة الحبشة ولكنه يتلاشى فى الرمال وتغوص مياهه فيها قرب مدينة براوه ، ويلاحظ أن هذين النهرين اللذين يفيضان بالماء — العذب لا يستفاد منهما الفائدة المرجوة فى زراعة المناطق الشاسعة من الأرض الصالحة للزراعة وبذلك تضيع مياهها فى المحيط الهندى أو فى الصحراء ، وان قليلا من مشروعات الرى واستصلاح بعض هذه الأراضى تجعل الأرض الجرداء جنة وارفة الظلال وقد لاحظت ان تربة الأرض سوداء يعنى صالحة للزراعة بقليل من الاصلاح وتوصيل المياه اليها .

أما المناخ فالجو حار بوجه عام ، لأن البلاد تقع فى مجموعها فى نطاق المنطقة الحارة وتشتد الحرارة فى الأجزاء الشمالية لقلة الأمطار والغطاء النباتى فيها ، ويعتبر شهر مارس وأبريل أشد شهور السنة حرارة بسبب تعامد الشمس على خط الاستواء فى تلك الفترة ، ويخفف من حرارة الجو وقوع كثير من المدن على شاطىء المحيط الهندى ، والجو يكون مشبعا برطوبة مياه المحيط ، وتزداد نسبة الرطوبة وخاصة بالمناطق الساحلية عقب سقوط الأمطار حيث تصل من ٧٥ — ٩٥ ٪ فى المتوسط ..

ويقسم الصوماليون السنة الى أربعة فصول مناخية هى :

١ — جيلال : يبدأ من ديسمبر حتى أواخر مارس ويمتاز هذا الفصل بارتفاع درجة الحرارة التدريجى حتى تصل فى شهر مارس الى ٣٥ درجة مئوية .

٢ — جو ويقال (تنجابيل) من أبريل الى أواخر يونيو وأوائل يوليو هو موسم الأمطار الغزيرة .

٣ — هاجاى : من يوليو حتى أواخر أغسطس ويمتاز هذا الفصل باعتدال الحرارة .

٤ — دير : من سبتمبر الى أواخر نوفمبر وتسقط فيه أمطار خفيفة .

الأقاليم الطبيعية فى الصومال :

تقسم الصومال الى أربعة أقاليم طبيعية هى :

١ — **الاقليم الشمالى (مجرتينيا)** ويتكون من هضبة جيرية وعرة السطح وتسوده النباتات الشوكية وأهم أشجاره اللبان والصمغ والبخور ، ولا تتوفر فى هذا الاقليم امكانيات الزراعة .

٢ — الاقليم الأوسط : (مدق) :ويشمل المنطقة المحصورة بين وادى نوجال والمحيط الهندى ، ونهر شبيللى ومنطقة الاجادين ، وهو أقليم نارى المناخ والسكان معظمهم **يشتغلون بالرعى** .

٣ ــ **الاقليم الأوسط الساحلى :** ويشمل المنطقةالساحلية المحصورة بين نهرى شبيللى وجوبا ، وهو أكثر الاقاليم عمرانا وازدحاما بالسكان ويضم المناطق الزراعية التى تستخدم فيها الآلات الحديثـــة حيث يخترقها النهران الكبيران : جوبا وشبيللى وفيه المدن الهامة التى تقوم فيها بعض الصناعات

٤ ــ **الاقليم الجنوبى (أو منطقـــة جوبا العليـــا) :** ويقع بين نهر جوبـــا والحبشة وكينيا وحيث توجد الآبار والعيون ، يوجد السكان حيث يعملون فى الرعى والزراعة وتمتاز بعض المناطق فيه باعتدال الجو فيها بسبب الارتفاع مثل منطقة « بيدوا » التى يطلق عليها الصوماليون اسم سويسرا الصومال لطيب جوها ، واعتدال مناخها وكثرة خيراتهـــا .

الفصل الثانى

الجانب الاقتصادى

تمهيـــــــد :

المشكلة الاقتصادية موجودة فى كل ما يتصل بحياتنا اليومية ، لأن الانسان يريد أن يتوفر له قدر كبير من ضروريات الحياة وتقوم المنازعات بين الأفراد بعضهم مع بعض ، وبين الدول كذلك ، من أجل الحصول على أكبر نصيب من ناتج الأرض ، والوصول الى أعلا مستوى من العيش الكريم ، لكن هل تتيسر هذه الضروريات لجميع الناس ؟ اننا لا نجد منها الا القدر المحدود الذى تحدده الموارد الطبيعية فى بعض الأحيان — وتحدده الموارد الانسانية كما وكيفا فى أحيان أخرى ، وتحدده الموارد الآلية التىيخلقها الانسان بمؤازرة الطبيعة فى أحيان ثالثة ، هذا القدر المحدود من الطيبات يجعلنا نجيب اجابة سريعة عن هذا السؤال لمــاذا يوجد الفقر المدقع ؟ ولمــاذا يعيش كثير من الشعوب فى تخلف مادى ، ولا يجدون لقمة الخبز الا بشق الأنفس وفى أفريقيا بخاصة بينما تنعم بعض الدول بسعة من العيش وبالرخاء الزائد ، وبالشبع الزائد الى حد التخمة ؟ يمكن أن نجيب بكلمـــة واحـــدة ، وهى الضـــغوط الاستعمارية على هذه القارة البكر ، التى تحمل فى بطونهـــا ثروات لا حـــد لهـــا ، وهى لو وجدت الأيدى العاملة المدربة تدريبا دقيقا ولو وجدت العلماء الذين يخططون لاستغلال هذه الثروات لعاش أبناؤها فى نعيم ورفاهية ، فأساس المشكة اذن هو عدم التكافؤ بين الثروات الكامنة وبين الايدىالعاملة فلابد من بذل جهود مضاعفة ، ويعتبر الاقتصاديون قدماؤهم ومحدثوهم أن الجهود أو العمل هى أصل لكل الثروات المنتجة أى الطيبات التى لا يمكن الحصول عليها بدون عناء .. ولذا نجد الأديان السماوية والاسلام بوجــه خاص يحث على العمل والسعى فى الأرض والكد بها ، والقرآن الكريم يذكر عن أنبياء الله أنهم يعملون بأيديهم ، فى الانتاج ، والآيات الكريمة التى تدل على تسخير الأرض والبحر للانسان تنبيه الى استخراج ما فيهما من خيرات وبهذا يؤكد الانسان تكريمه الذى ذكره ربنا تبارك وتعالى فى قوله : (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهمفى البر والبحر ورزقناهممنالطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ..

ومن الملاحظ أن التسخير الالهى للبحر والأنهار والفلك والأنعام لا يغنى عن العمل ، فالله سبحانه وتعالى حينما قال : (وسخر لكم البحر) لم يرد أن البحر يقذف للناس بالأسماك يأكلونها ولا باللآلئ تخرج منها ، وانما المراد أن مصادر الرزق كامنة فىالبحر مهيأة لمن يبذلالجهد فى استخراجها والانتفاع بها ، وهو ما يشير اليه قوله تعالى (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما

طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) اذن التسخير قوة كامنة لا يظهرها الا العمل وبذل الجهد .

ومحمد رسول الله شرف الله بعمله العمل ، فلقد عمل فى رعى الغنم بالأجرة لأهل مكة قبل أن يبعث ، وعمل فى التجارة فى مال خديجة ، وعمل بيده فى غرس النخيل(١) ويشارك خدمه فى أعمالهم ، فيرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ويحلب شاته ، ويعقل بعيره ،ويعلف ناضحه ، ويقم بيته(٢) ، ويدخل السوق بنفسه فيشترى ما يريد ، وشارك أصحابه بناء المسجد النبوى ، وفى حفر الخندق أيام غزوة الاحزاب،ولقد كان كثيرا ما يقول : (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أ نيأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده)(٣) .

نشاط السكان : يختلف نشاط السكان فى الصومال من مكان الى آخر حسب طبيعة البلاد وموقعها ، ففى المناطق الساحلية يشتغل السكان بالصيد والتجارة مع الاقطار المجاورة ، و فى الداخل حيث المراعى يحترف السكان الرعى كما يقومون بجمع الصمغ واللبان والبخور ويعتبر اللبان من أهم أركان الاقتصاد القومى فى المنطقة الشمالية وقد اشتهرت به منذ أيام المصريين القدماء وتعتبر أكبر مصدر للبان فى العالم اذ تنتج منه ما لا يقل عن ٦٠ ٪ من محصول اللبان فى العالم ، وفى مناطق الاشجار يقومون بقطع الأخشاب وصيد الحيوانات للاستفادة بجلودها وأنيابها وحول النهرين الرئيسيين والآبار يشتغل السكان بالزراعة — أما الصناعة فرغم توفر عواملها الا أن النشاط بها ضئيل ..

والرعاة يكونون حوالى ٦٦ ٪ من مجموع السكان ، والزراع تصل نسبتهم الى ١٨ ٪ — أما الصناع وأرباب الحرف فيصلون الى ١٢ ٪ ويأتى التجار بعد ذلك فنسبتهم حوالى ٣٪ تقريبا ، أما صيادو السمك فلا تزيد نسبتهم على ١ ٪ من عدد السكان .. وتقدر ثروة الصومالى ومركزه الاجتماعى بعدد قطعان الحيوانات التى يملكها ويحتل اللبن مركز الصدارة فى الغذاء اليومى للصوماليين ، الى جانب بعض دقيق الذرة المطبوخ وتسمى « جشيشة » ومعها اللحم ثم القهوة المصنوعة من البن المقلى فى الزبد والحيوانات الموجودة هناك والتى تكون الثروات لأصحابها هى الابل والبقر والأغنام والماعز ، ومع أن الظروف المواتية للزراعة فى الصومال متوفرة الا أن التقدم فى مجالها ضئيل ولعل السبب فى ذلك راجع الى العوامل الآتية :

(أ) طباع السكان حيث يغلب عليهم الطبيعة الرعوية وهذا أمر طبيعى لما تمتاز به البلاد من ثروة حيوانية ضخمة .

(ب) قلة عدد السكان بالنسبة لمساحة الأرض الصالحة للزراعة .

---

(١) مسند ابن حنبل جزء ٥ ص ٤٤٠ .
(٢) نهاية الارب فى فنون الادب حـ ١٨ ص ٢٦٣ .
(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى جزء ٤ .

(جـ) عدم انتشار الآلات الزراعية البسيطة ، فالصومالى لا يستخدم الا الفأس فى الزراعة ولو وجدت عندهم الساقية والمحراث والشادوف والنورج وما الى ذلك من الآلات ـ الزراعيـــة البســـيطة التى يستخدمها الفلاح المصرى بسهولة كان للزراعة أثرهـــا الكبير فى حيـــاتهم .

علما بأن الايطاليين فى الاقليم الجنوبى كانت لهم مزارع كبيرة واستخدموا فيها الوسائل الحديثة . . .

وأهم المحاصيل الزراعية:الموز ـ الذرة الشاميـة ـ الذرة الرفيعة ـ الفول السودانى ـ السمسم ـ قصب السكر ـ البصل ـ الفاكهة .

وتشمل كثيرا من أنواع الفاكهة الاستوائية مثل المـــانجو والبابا ى وبعض انواع الموالح مثل البومبلمو (جريب فروت) كما وجد هناك بكثرة جوز الهند أما الخضروات فهى كميات صغيرة وتزرع قريبـــا من مقديشيو العـــاصمة واهمها الباذنجان والطماطم والبامية والاسفاناخ والكوسة والقرع العسلى والخيار والقتة والشمام والبطيخ والفلفل والخس . .

ويقوم الصيد بدور هام فى الاقتصاد المحلى الصومالى لاتساع البلاد وتنوع حيواناتها وكثرتها ولطول سواحلها وتعدد أنواع أسماكها .

صيد الحيوان : أهم حيوانات الصيد فى الاقليم الشمالى الوعل والنعامة والغزال والظبى الصغير وتصاد هذه الحيوانات للحمها ودهنها وقرونهـــا وجلودها وفى الجنوب تصاد هذه الحيوانات أيضـا الى جانب صيد النمر والفهد لجلودها الثمينة كما يصاد الأسد لجلده والفيل لعاجه ، ويصاد الزراف وفرس البحـــــر .

صيد السمك : يوجد فى سواحل الصومال أنواع شتى من الأسماك ؛ وتكثر أسماك التونة والقرش وتوجد الآن مصانع حديثة على ساحل مجرتين لتعليب سمك التونة وتصديره كما توجد حاليا مصانع فى مدينة مركه لحفظ اللحوم وتصديرها للخارج .

أهم الصـــناعات : لقد عمد الاســـتعمار الى ابعاد هذه البلاد عن عالم الصناعة رغم توفر المواد الخـــام ، واليد العـــاملة ، ورؤوس الأموال ، والأسواق التى تصدر اليها الصناعات وذلك حتى يظل محتكرا النشـــاط الاقتصادى فيها . ومن أهم الصناعات :

١ ـ صناعة حفظ اللحوم والأسماك .

٢ ـ صناعة الســـكر .

٣ ـ صناعة الأحذية والجلود .

٤ ــ صناعة الأثـــاث .

٥ ــ صناعة الحديد وأهمها الخناجر الطويلة والسكاكين والبلط لقطع الأشـــجار .

٦ ــ صناعة الزيت والصـــابون .

٧ ــ حلج القطن ونسجه .

٨ ــ صناعة المشروبات وأشهرها المياه الغـــازية المعروفـــة فى الاقليم الجنوبى ((**بالاكوامنرالى**)) أى المياه المعدنية ، كما توجد مصـــانع قليلة فى مقديشيو لانتاج شراب الفواكه .

٩ ــ صناعة الثلج الذى يعتبر ضروريا فى هذه المناطق الحارة .

والصومال قد أكتشف فيها بعض المعـــادن مثل القصـــدير والرصـــاص والحديد وكذلك بدأت شركات أجنبيـــة تنقب عن البترول .. ولم تظهر للآن نتائج لهذه الأبحاث .

النشـــاط التجارى : تقوم التجارة الداخليـــة على المنتجات المحليـــة المختلفة مثـــل الحبوب والخضر والنباتات الزيتيـــة كالسمسم والفـــول السودانى والحيوانات والفواكه .

أما التجارة الخارجية فقد كانت أيام الاستعمار تحتكرها ايطاليا فى الاقليم الجنوبى وانجلترا فى الاقليم الشمالى وبعـــد الاســـتقلال تحررت من هـــذا الاحتكار ووسعت تجارتها نشملت جمورية مصر العربيـــة وعدن وكينيـــا واليابان وغيرها .

وأهم الصادرات : الموز ــ المـــاشية ــ اللبان والصمغ والبخور ــ اللحوم المحفوظة وعلب سمك التونة .

وأهم الواردات : الآلات الزراعية ــ السيارات ــ المنسوجات ــ الأدوية ــ مواد البناء ــ الأدوات الكهربائية ــ منتجات البترول ــ الأرز ــ ودقيق القمح ــ البصل ــ المواد الغذائية الأخرى .

بعض المشروعات المقترحة :

وفى ختام هذا الفصل أود أن أذكر بعض المشروعات التى ينبغى اقامتها فى الصومال وذلك من واقع خبرتى فى العمل هنـــاك . وهـــذه المشروعات أهمها ما يأتى :

أولا : اقامة مصنع كبير لغزل القطن ونسجه ، وقد نجح الصوماليون أخيرا فى انتاج القطن الطويل التيله ، وأصبحت البلاد تنتج من هذا القطن الخـــام

حوالى ٢٠٠٠ طن فى العام ، ومما يؤسف له أن ايطاليا أيام الاحتلال ، وفى ظل الوصاية كانت تشترى ناتج القطن بثمن بخس ، فهى تشترى الكيلو جرام الواحد من القطن الخام بحوالى ٦٠ سنت صومالى أى ٣٠ مليما ، وتقوم بغزل القطن ونسجه فى بلادها ثم تعيد تصديره أقمشة غالية الثمن ، لأبناء الشعب الذى كد وكدح فى سبيل انتاجه .

ثانيا : اقامة شبكة مياه لتغذية العاصمة مقديشيو بالمياه العذبة من نهر شبيللى ـــ الذى لا يبعد عنها أكثر من ثلاثين كيلو مترا ، اذ أن المياه الموجودة حاليا فى العاصمة وتجرى فى الأنابيب هى مياه مالحة ، وتكاليف استهلاكها عالية اذ يبلغ استهلاك المنزل الواحد الذى تسكنه أسرة من ٥ أفراد ما بين ٣٠ ، ٤٠ شلنا صوماليا فى الشهر وهذه المياه لا تستخدم الا فى دورات المياه وغسيل الملابس والأوانى . أما النوع الثانى من الميـاه فهو مياه الآبـار الارتوازية المنتشرة فى المدينة وتنقل الى المدينـة عن طريق سـيارة كبيرة كسيارات حاملات المـازوت أو فى براميـل صغيرة عـلى ظهور الحمـير وتستخدم فى الأعمال المنزلية العادية ويشرب منها عامة الشعب ، ويستهلك المنزل الواحد المكون من ٥ أفراد حوالى ثلاث صفائح يوميا بمعدل ٢٠ شلنا صوماليا شهريا أما المياه الثالثـة فهى عبارة عن الميـاه المقطرة التى تقوم بتقطيرها احدى ماكينات شركة النور بمقديشيو وهى صالحة للشرب تماما ولا يستخدمها الا القلائل ويستهلك منها المنزل الواحد شـهريا ٢٤ شـلنا صوماليا وهناك النوع الرابع من المياه وهى المياه المعدنية المحلية وتستخدم فى بعض انازل المحـدودة والمقاهى والهيئات الدبلوماسية ويستهلك منهـا المنزل المكون من خمسة أفراد بما قيمته ٤٠ شلنا صوماليا شهريا وبحساب بسيط يظهر أن المنزل الواحد فى العاصمة يستهلك شهريا بحوالى ١٢٠ شلنا صوماليا أى حوالى ستة جنيات فى المياه فقط ، فاذا ما أقيم هذا المشروع الحيوى فكم يتوفر للسكان من النفقات ؟ فضلا عن سهولة الحصول عـلى الميـاه ؟

ثالثا : مشروع خاص برصف الطرق ، فحيث لا توجد قطارات سكك حديد تكون وسائل الانتقال ونقل البضائع هى السيارات ، والطرق هناك طويلة جدا ، لذا فهى حاجة الى رصف لانها بحالتـها الراهنة تؤثر تأثيرا سلبيـا على اقتصاديات البـلاد .

رابعا : مشروع بناء المساكن ليحد من ارتفاع المساكن الحديثة وخصوصا فى العاصمة .

خامسا : توسعة ميناء مقديشيو ، وبناء مطار هرجيسه الجوى الى جانب توسيع الموانى البحرية الاخرى ، مثل مينـاء بربرة فى الاقليم الشـمالى ، ومينائى كسمايو وميركا فى الاقليم الجنوبى ، وبناء الأرصفة لها لتيسير عمليات الشحن والتفريغ .

سادسا : اقامة أكثر من مجزر اوتوماتيكى تلحق بها ثلاجات لحفظ اللحوم وتصدر للخـارج مثلجـة .

سابعا : التوسع فى اقامة مصانع تعليب اللحوم وتعليب سمك التونـه للتصدير الى الخـارج .

الفصل الثالث

الجانب الإجتماعى

١ ـ أسس المجتمع الصومالى :

يقوم النظام الاجتماعى فى الصومال فى أساسه بوجه عام على النظام القبلى ، ولعل منشأ هذا النظام يرجع الى أسلوب الحياة السائد هناك وهو نظام الرعى وقد لعب هذا النظام دورا هاما قبل قيام الدولة الحديثة والمجتمع الجديد ، وكانت القبيلة تحكم حكما ديموقراطيا ، أساسه التعاون ونصرة المظلوم والاخاء ، تبعا للمبدأ الذى أصبح قولا مأثورا وهو أن القبيلة الطيبة لا يوجد فيها أحد جائع اذا لم يكن الجميع جائعين ، وقد كان هناك عرف قبلى صومالى يسمونه (حير) وهو مجموعة التقاليد المتوارثة التى تلتزم القبائل بأحكامها ، وكان للحير نفوذ ـ قوى على القبائل وخصوصا فى الشمال ، ويظهر تأثيره واضحا فى حالات كثيرة منها الحروب القبلية ودفع ديات القتلى ، وفى الالتزامات التى يقيد بها المرأة والآن مع قيام الدولة الصومالية وتقوية الوحدة الوطنية فان أهل الرأى وأصحاب الوعى الكامل من الصوماليين كافحوا من أجل نبذ نظام القبيلة الذى يعرقل النهوض والتقدم وبحمد الله نجحت هذه الدعوات المخلصة وحل الولاء للوطن ككل محل القبيلة الخاصة .

٢ ـ أثر البيئة فى المجتمع :

للظروف الطبيعية السائدة فى شبه جزيرة الصومال تأثير كبير فى حياة المجتمع وتشكيل ألوان نشاطه فحيث الارتفاع المستمر لدرجة الحرارة وغزارة الأمطار ووجود كثير من الحيوانات المتوحشة كان الصومالى حاد البصر مرهف الحس سريع الحركة له قدرة فائقة على التحمل والجلد ، وعلمتهم حياة الترحال الكرم والامانة والوفاء وغرست فيهم روح الحرية والاستقلال وفى أرض الصحراء يتصف سكانها بالشجاعة والكرامة وشدة التدين .. والصبر على المكاره وقوة الاحتمال والشعب الصومالى عموما من أشد شعوب العالم الاسلامى تدينا وايمانا بالله وبوطنه وبأخوانه ، وعقيدة الاسلام تعتبر قوة وحدوية ربطت بين الصوماليين ودعمت أخوتهم وتعاونهم ، وربطت بينهم وبين أخوتهم المسلمين فى سائر جهات الأرض وبخاصة البلاد العربية ..

الفصل الثالث

الجانب الإجتماعى

١ ـ أسس المجتمع الصومالى :

يقوم النظام الاجتماعى فى الصوما لى فى أساسه بوجه عام على النظام القبلى ، ولعل منشأ هذا النظام يرجع الى أسلوب الحياة السائد هناك وهو نظام الرعى وقد لعب هذا النظام دورا هاما قبل قيام الدولة الحديثة والمجتمع الجديد ، وكانت القبيلة تحكم حكما ديموقراطيا ، أساسه التعاون ونصرة المظلوم والاخاء ، تبعا للمبدأ الذى أصبح قولا مأثورا وهو أن القبيلة الطيبة لا يوجد فيها أحد جائع اذا لم يكن الجميع جائعين ، وقد كان هناك عرف قبلى صومالى يسمونه (حير) وهو مجموعة التقاليد المتوارثة التى تلتزم القبائل بأحكامها ، وكان للحير نفوذ ـ قوى على القبائل وخصوصا فى الشمال ، ويظهر تأثيره واضحا فى حالات كثيرة منها الحروب القبلية ودفع ديات القتلى ، وفى الالتزامات التى يقيد بها المرأة والآن مع قيام الدولة الصومالية وتقوية الوحدة الوطنية فان أهل الرأى وأصحاب الوعى الكامل من الصوماليين كافحوا من أجل نبذ نظام القبيلة الذى يعرقل النهوض والتقدم وبحمد الله نجحت هذه الدعوات المخلصة وحل الولاء للوطن ككل محل القبيلة الخاصة .

٢ ـ أثر البيئة فى المجتمع :

للظروف الطبيعية السائدة فى شبه جزيرة الصومال تأثير كبير فى حياة المجتمع وتشكيل ألوان نشاطه فحيث الارتفاع المستمر لدرجة الحرارة وغزارة الأمطار ووجود كثير من الحيوانات المتوحشة كان الصومالى حاد البصر مرهف الحس سريع الحركة له قدرة فائقة على التحمل والجلد ، وعلمتهم حياة الترحال الكرم والامانة والوفاء وغرست فيهم روح الحرية والاستقلال وفى أرض الصحراء يتصف سكانها بالشجاعة والكرامة وشدة التدين .. والصبر على المكاره وقوة الاحتمال والشعب الصومالى عموما من أشد شعوب العالم الاسلامى تدينا وايمانا بالله وبوطنه وبأخوانه ، وعقيدة الاسلام تعتبر قوة وحدوية ربطت بين الصوماليين ودعمت أخوتهم وتعاونهم ، وربطت بينهم وبين أخوتهم المسلمين فى سائر جهات الأرض وبخاصة البلاد العربية ..

٣ ـ بعض الظواهر الاجتماعية فى الزواج :

الأسرة ليا تداستها فى المجتمع الصومالى ، وتقوم أساسا من زوجين وأولاد ـ وللصوماليين فى الزواج تقاليد طريفة فالخطيب يتقدم فى جماعة من أقاربه وأعمامه الى والد الفتاة ومعهم شبكة تقدر قيمتها بحوالى ١٠٠ شلن صومالى فاذا وافق الأب على الخطبة احالهم على أعمام الفتاة فهم الذين بيدهم الأمر النهائى فى القبول أو الرفض ويوضع فى الاعتبار رضى الفتاة ، فاذا وافقوا أخذوا الشبكة واقتسموها فيما بينهم دون أن يأخذ والد الفتاة أو أبناؤه منها شيئا . ثم يدفع الخاطب نحو مائة وخمسين جنيها بعد ذلك لارضاء أهلها وشراء الجهاز للبنت وقد يكون المهر عينا أو دينا مؤجلا على ذمة الزوج وبعد عقد القرآن تتم عملية الزفاف التى يصاحبها كثير من صنوف النشاط الذى ـ يشمل القرية أو الحى من المدينة ، وكثيرا ما يتزوج الواحد أكثر من واحدة تبعا لظروفه المالية والزواج فى القبيلة يختلف عن الزواج فى المدن ، ففى بعض القبائل لا يتزوج الرجل من ابنة عمه ، أو أحد أفراد القبيلة لأنه يعدها جزءا من نفسه ، فاذا تقدم العريس لخطبة فتاة ، وقبل أهلها دفع شيئا مما معه من عمامة أو خنجر أو مسبحة ، ثم ميقدم المهر الذى يكون عينا أو نقدا ثم تزف الفتاة الى زوجها وتمكث فى بيت أهلها حتى تلد ولدها الأول ، ثم يرحل بها الى قبيلته ، ويعتبر المهر بمثابة أمانة لدى أسرة الزوجة ، فأن حدث توافق وانسجام بين الزوجين أصبح المهر ملكا لأسرة الزوجة ، وان حدث اختلاف بينهما رد الى الزوج ، وان مات الزوج تزوجت أرملته أقرب الناس اليه..

ومن الظواهر الاجتماعية الموجودة شيوع الطلاق فى البلاد وبخاصة فى المدن والقرى الجنوبية وهو لا يحدث نتيجة مبررات قوية تحتمه ولكن يحدث لأوهى الأسباب وقد يكون بلا سبب الا مجرد ارادة الزوج تجديد الزوجة أو يكون عدد من على ذمته من الزوجات أربع زوجات ويريد أن يتزوج زواجا جديدا فيعمد الى طلاق احدى الزوجات ، ليمكن له أن يتزوج بالجديدة ، بحيث لا يزيد العدد عن أربعة حسبما قرره الشرع الاسلامى ، ونتج عن فوضى الطلاق مشكلة اجتماعية واضحة وهى كثرة الاولاد المشردين الذين يتسكعون فى الطرقات .

٤ ـ عادات وتقاليد قديمة ينبغى مقاومتها :

يوجد عديد من العادات الشعبية الشائعة فى الصومال ، وهى تحتاج الى توعية الناس بعدم جدواها ومثالها : عادة الزار ، وعادة اشعال الحرائق فى أول السنة النيروزية والضرب بالعصى حتى اسالة الدماء فى أول اغسطس من كل عام فى منطقة أفقوى القريبة من مقديشيو وقد يحدث قتل شخص أو أشخاص فى هذا اللعب ويقولون أنها من بقايا العادات الفرعونية فى الصومال والزرع لا ينمو نموا كاملا بدونها ومن العادات المستهجنة علاج الأمراض بالكى بالنار بدلا من التداوى ، وحلقات اللعب والرقص وكى الحيوانات بالنار لتمييزها عن مواشى القبائل الأخرى مع عدم مراعاة ضياع قيمة هذه

الجلود التى أصابها الكى (١) . ومن عاداتهم فى الولادة والختان أنهم يفرحون كثيرا بولادة الذكور ويحتفلون احتفالات كبيرة بولادته . أما الأنثى فيقابلون ولادتها بفتور ، وعند تسمية الطفل وغالبا ما يكون فى يوم السبوع يذبح الأب ضحية ، وبعض القبائل تلطخ رأس المولود بدم الذبيحة اما عاداتهم فى الدفن والحداد فتتميز بالبساطة المتناهية التى تتفق مع تعاليم الاسلام ، وقد حضرت كثيرا من حالات العزاء ، وكان يقدم لنا أهل المتوفى شراب البرتقال المثلج ، ويقدمون البلح مع القهوة ... ولم تسمع صراخ النساء ولا بكاء احد من أقارب المتوفى .

٥ — مركز المرأة :

ينظر الى المرأة على أنها أقل من الرجل بكثير ، وليس لها حق حضور مجالس القبائل أو العشائر ، كما لا يحق لها أن تطالب بدية أولادها اذ يتولى ذلك نيابة عنها ولى أمرها الذى يرتبط بها من ناحية العصب لا الرحم وهذا اذا كانت فتاة ، أما اذا كانت متزوجة فان زوجها هو الذى يتولى عنها ذلك ، وتتضح هذه النظرة كذلك فى عدم السماح للنساء بركوب الدواب فى أثناء الارتحالات بل عليهن السير على أقدامهن فيما عدا العجائز وقد يكلفن بحمل بعض الامتعة على رءوسهن ، بينما كان الرجال يركبون الخيل فى أثناء هذه الارتحالات .. وملابس المرأة الصومالية تمتاز بالاحتشام وهى ليست متبرجة ومع ذلك لا يضعن حجابا على وجوههن . ونادرا ما تضع المساحيق على وجهها ، وحرية الاختلاط مكفولة للفتاة الصومالية فيمكن لها ان تسير وحدها ،والتعليم الابتدائى والثانوى مشترك بين الابن والبنت، وكذلك فى الفصول المسائية للكبار وهى تشارك فى مواكب الدعاية الانتخابية ولها حق الترشيح واعطاء صوتها بمحض اختيارها .

٦ — الأعياد والمواسم :

يحتفل الصوماليون بالاعياد الدينية الاسلامية بنفس البساطة التى تسود حياتهم ، ففى عيد الفطر يصنعون نوعا من الفطائر يتناولونها قبل ذهابهم الى صلاة العيد ، وفى عيد الاضحى يذبحون الضحايا بعد الصلاة . ويحرصون على ارتداء الملابس الجديدة فى أيام الأعياد ، ويزور بعضهم بعضا مهنئين أما الأعياد الوطنية فهى كثيرة فى الجنوب وخاصة عند جماعة البانتو الزراع الذين يسكنون ضفاف الأنهار . ومن أشهرها عيد رأس السنة الشمسية حيث يشعلون النيران ويخطون فوقها ، ويرقصون وبعد الانتهاء من كل رقصة يغرز رب الأسرة رمحه فى النار اشارة الى فقئه للعين الشريرة ، ويستمر ابقاء النار عدة أيام وتسمى كذلك عيد فرعون ، وهذه التسمية تدل على مبلغ قدم هذا العيد كما تدل على الصلة التاريخية

---

(١) ولقد قمت بحملة قوية فى المساجد لتوعية الناس بقدر هذا العمل ، ففيه اتلاف للاموال وهو جلود الحيوانات ، كما ان فيه تعذيبها بدون داع .. واقترحت أن تميز الحيوانات بألوان ثابتة بدلا من الكى بالنار والحمد لله قد وجدت هذه الحركة استجابة طيبة من الجماهير .. « المؤلف » ..

القديمة مع مصر .. وهناك عيد آخر هو عيد الاستسقاء أو طلب المطر ، ويحتفلون به فى بداية موسم المطر الغزير ، وفى هذا الاحتفال يقرأ الفقهاء الآيات القرآنية والأحاديث ، بينما يخرج الاهالى رجالا ونساء فى جماعات تطوف بالبلد وتنشد الأناشيد وتردد — الدعوات لطلب المطـــر . وعنـــد نزوله تذبح الضحايا وتقام الولائم حتى يطلق عليهـــا « الله برىء » أى شكرا لله (١) ..

---

(١) الجمهورية الصومالية للاستاذ عبد المنعم عبد الحليم .

الفصل الرابع

الجانب الثقافى

١ ـ اللغـــة :

الصومال بلد ذو ثقافة عريقة وقديمة ، ويرجع تاريخها الى الزمن الذى كانت فيه الحضـــارات القديمة كحضارة قدماء المصريين والاغريق والفرس ، وقد أثبت التاريخ وجود الصلات التاريخية والتجارية مع هذه الحضارات منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، ولا تزال النقوش والآثار القديمـــة فى دور الآثار تشهد بذلك .. وفى الصومال عادات قديمة متوارثة لها صلة وثيقة بعادات قدماء المصريين مثل بناء الاهرامات الموجودة فى مناطـــق مجرتينيا ومدق ، كما توجد كلمات مشتركة بين اللغتين الصومالية والمصرية القديمة، وقد ذكر الاستاذ سليم حسن المؤرخ / المعروف : أن هناك تشابها كبيرا بين اللغة المنطوقة بالصومالى ومثيلتها فى بلاد النوبة فى مصر ومما يدل عـــلى تشابه الفاظ الصومالية مع الألفاظ المصرية القديمة هذه الأمثلة (١) :

الكلمة	معناها فى اللغة المصرية	معناها فى اللغة الصومالية القديمة
سمـــاء	عـــر	حـــر
مـــاء	بيـــو	مـــو
شمس	قـــرح	رع
النـــار	دب	دب
أنـــا	أتيجـــا	أنـــج
هـــو	أسوجـــا	أســـو

(١) تاريخ الصومال للاستاذ محمد عبد الفتاح هندى .

واللغة الصومالية تسمى لغة الأم لأنها تستخدم فى التخاطب فقط ولا تكتب ويطالب المثقفون الآن بضرورة كتابة هذه اللغة ولكن بأى حروف تكتب دعوة لكتابتها بالحروف اللاتينية ، ولكن يعارض هذا الرأى جماهير الشعب لأن علاقة الصومال باللاتينية كانت عن طريق الاستعمار الذى فرضهـا عليه فرضا ، والآن بعد أن تخلصت البلاد من كابوسه يجب أن تتخلص من آثاره . فضلا عن أن التبشير يرعى اللاتينية بهدف ربط ثقافة الشعب بالغرب ، وكثيرا ما كنت أسمع عند الحملة على هذه الطريقة قولهم أن اللاتينية معناها اللادينية وذلك بهد فتنفير الناس منها وهناك من يدعو الى اختراع كتابة جديدة بحروف جديدة ، ولكن كم من الزمن يحتاجه الشعب ليتعلم هذه الطريقة الجديدة ؟ وأن الحروف التى ستستحدث ؟ والمطابع والوقت علما بأ ن العالم فى سباق من أجل تنمية معارفه وزياد ةثقافته أذن لم يبق الا كتابتها بالحروف العربية ، ويرجع هذه الفكرة وجود الأسباب الآتية :

١ ــ ان الشعب الصومالى مسلم مائة فى المائة ، وبحكم اسلامه يدرس القرآن ويحفظه ويدرس الحديث والفقه والتوحيد وما الى ذلك من مختلف العلوم باللغة ، العربية . ودراسة الدين واجبة بنص الدستور .

٢ ــ قرأت فى دستور حرب وحدة الشباب الصومالى الذى كون فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٣ فى المادة ٢ فقرة «ب» هذا النص :

(الاهتمام بتعليم اللغة العربية نظرا لأنها لغة القطر الرسمية (١)) .

٣ ــ الحجج والوثائق فى البيع والشراء والزواج والوقف وما الى ذلك كلها مكتوبة ــ باللغة العربية منذ زمن بعيد .

٤ ــ كتابة الصومالية باللغة العربية يسهل على الدارس دراستها نظرا لأنه يألف هذه الحروف من قراءته فى الصحف وفى كتب الحديث ويجعله على صلة وثيقة بالثقافة الاسلامية .

٥ ــ هناك شعوب اسلامية تكتب لغاتها بالحروف العربية مثل الباكستان وايران والملايو .

٦ ــ من السهل الحصول على المطابع والحروف العربية وبذلك يتيسر طبع المؤلفات باللغة الصومالية والحروف العربية .

واذا بحثت فى القرآن والأحاديث تجد كثيرا من الكلمات العربية تشترك فى لفظها ونطقها ومعناها مع اللغة الصومالية ، وهذا يدل على قرب اللغتين ببعضهما مثلا : أعوذ ــ أسماء ــ أب ــ اقرار ــ أخبار ــ أصنام

---

(١) جاء فى دستور الجمهورية الصومالية فى البند الاول من المادة ٦١ « الاسلام دين الدولة » وفى المادة الخمسين نص على أن « الفقة الاسلامى مصدر أساس لقوانين الدولة » .

ـ أنس ـ أمانات ـ اقتصاد ـ أستعمار ـ اسم ـ أيتام ـ هجـرة ـ
ـ هدية ـ هباء منثورا ـ هدهد ـ هلال ـ واحد ـ وعد ـ والد ـ
وقت ـ ورقة ـ وزن ـ يوم ـ يتيم ـ ياقوت وغـير ذلك من مئـات الكلمات المشتركة ..

كما توجد جمل وتراكيب مشتركة بين اللغتين فى مناسبات التحيةواللقاء والوداع والدعاء مثلا عبارات :

الحمد لله ـ الله أكبر ـ حاشا لله ـ السلام عليـكم ورحمـة الله وبركاته ـ وعليكم السلام ـ ان شاء الله ـ تبت الى الله ـ صباح الخير ـ استغفر الله ـ تفضل معى ـ على بركة الله ـ باذن الله ـ على الله ـ كيف حالك ـ بعت واشتريت ـ مع سلامة الله ـ صديقى ـ صاحبى ـ أحسنت ـ بيت الله الحرام (1) ..

ومع فهم الاهالى للغة العربية لانها لغة القرآن ، ومع أن جميع الشعب سواء فى البادية أو فى الحضر يتكلمون اللغة الصومالية مع اختلاف فى بعض لهجاتها فان اللغة الانجليزية تنتشر بين المثقفين فى الاقليم الشمالى واللغة الايطالية فى الاقليم الجنوبى ومع تداستهم للغة العربية نجد أن لغةالدواوين والكتابة فى المصالح الحكومية هى الايطالية فى الجنـوب والانجليزيـة فى الشمال . الامر الذى يجب التنبه اليه لمضاعفة النشاط فى تعليم اللغـة العربية من أول مراحل التعليم الى نهايته ، حتى تكون هى لغة الدواوين .

٢ ـ الثقافة فى الصومال :

كلمة ثقافة تعنى التهذيب والتربية والتنمية وتتـأثر بالدين والعـادات والتقاليد والفنون والآداب والمذاهب والفلسفة ،وعلى هذا فاننا نجـد للامة الصومالية ثقافة عريقة نابعة من دينها وعاداتها وفنونها ، فدينها الاسلام بما يمثله من عقيدة وشريعة وقيم وأخلاق وسلوك ، وللصوماليين تراث أدبى يعتزون به يشمل الروايات والقصص والاناشـيد والامثـال والانساب وهم يتناولون هذا التراث جيلا بعد جيل بالرواية فقط بسبب عدم كتابة اللغة الصومالية والشعر الغنائى الصومالى ثلاثة أنواع :

(أ) شعر المدح ويسمى جباى .

(ب) شعر الحرب ويسمى جـرار .

(جـ) شعر الحب والغزل ويسمى حس أو بين .

وليس قرض الشعر خاصا بالرجـال ، بل كثـيرا ما تلقيه النساء فى الاحتفالات وخاصة حفلات الزواج ، ويصاحب شعر الغزل غالبـا أنغـام

---

(1) الصومالية بلغة القرآن : للاستاذ ابراهيم حاشى محمود .

موسيقية كذلك يوجد فنانون فى التمثيل ويمثلون فى الغالب أبطالهم الذين كان لهم دور بطولى فى مقاومة الاستعمار .

ومن وسائل نشر الثقافة المذياع الذى يذيع أحاديث وتمثيليات وموسيقى وغناء ، وكذلك توجد الصحف والمجلات ، التى تكتب بالعربية وبالايطالية فى الاقليم الجنوبى وبالعربية والانجليزية فى الاقليم الشمالى ولكنها لا تقرأ من سكان البوادى .

٣ — التعليم فى الصومال :

توجد عدة أنواع من المدارس بالصومال تساهم جميعها فى رفع المستوى التعليمى والثقافى للشعب ، وفى تنمية الوعى القومى ، الا أن هذه المدارس لا تزال ضئيلة بالنسبة لاحتياجات السكان المتزايدة ومواجهة رغباتهم فى تعليم أبنائهم .

(أولا : **التعليم الدينى**)

وهو تعليم الغالبية العظمى من الصوماليين الذين لهم المام بالقراءة والكتابة وله **ثلاث مراحل :**

المرحلة الأولى : التعليم فى الكتاتيب ، وتسمى « الدوكسى » باللغة الصومالية والتعليم فيه يمشى على غير نظام ، وعلى طريقة واحدة فى الصومال كلها فالتعليم فيه يبدأ بتعليم الطفل فى سن السابعة أو الثامنة تقريبا الحروف الهجائية منفصلة بعضها عن بعض ، ثم نطقها بأشكال مختلفة ثم ترتيبها فى كلمة مكونة من حرفين أو ثلاثة ، وبعد الانتهاء منها يبدأ بتعليم القرآن ابتداء من سورة الفاتحة ثم المعوذتين وهكذا من آخر المصحف الى أوله حتى سورة البقرة .

وكل أبناء البادية يعلمون أولادهم فى الدوكسى لانهم يعتقدون بأن الرسول سيسألهم يوم القيامة عن تعليم أبنائهم لغة القرآن ، وتستخدم الألواح الخشبية فى تدريب الأولاد على قراءة القرآن وحفظه وتسمى « داركين » ولكل لوح يد يمسك منها خشبية ازالة الكتابة نتيجة الاستعمال المستمر ، ويقوم الأولاد بالكتابة على هذه الألواح بواسطة قطعة من الخشب طويلة من فروع الأشجار ، اما الحبر فهو من لبن البقر أو الغنم مضافا اليه الفحم والصمغ ، ويمكن ازالته بالمياه ثم الكتابة على الألواح ثانيا ..

ويتقاضى معلم الدوكسى من كل تلميذ مبلغا يتراوح ما بين شلنين أو ثلاثة مع نهاية كل شهر ، وجدير بالذكر أن نظام التعليم فى الدوكسى بوسائله البدائية هذه تمتاز بسرعة حفظ الأطفال للقرآن ، اذ يتم الطفل كتابة القرآن كله فى مدة سنة ونصف أو سنتين فيعيد كتابته مرة ثانية ، وأحيانا ثالثة

ليتمكن من اتقانه ولكل طفل فى الدوكسى ثلاثة ألواح أ وأربعة طويلة وقصيرة ، حسب مدارج الطفل من سلم القرآن ، فمن كان فى قصار السور أخذ اللوح القصير ومن كان فى طواله أخذ اللوح الطويل وفى السور الوسطى يأخذ اللوح المتوسط ، بمعنى أن التلميذ كلما زاد فهمه فى القراءة والكتابة كلما زاد تبعا لذلك — طول وكثرة عشره ، وقد جرت العادة فى البادية أن المعلم يأمر الأطفال بالاحتطاب مساء كل يوم من أيام الأسبوع ما عدا مسائى الخميس والجمعة ، حيث يوقدون النار ليلا ليقرأوا فى نورها المقرر حفظه فى المساء بعد المغرب ، ويكتبون فى نورها القدر المطلوب حفظه فى الصباح (١) .

وبعد الانتهاء من تعليم القرآن يغادر الطفل الدوكسى ليرعى الجمال أو البقر أو ليحرث الأرض ، اما من يريد مواصلة دراسته الدينية ، فينضم الى شيخ من مشايخهم ويتتلمذ عليه فى مادة اشتهر بها ويدرس عليه كتابا معروفا فى التفسير أو فى فقه الشافعية ، وغالبا ما يكون منهج الطالبين أو كتابا آخر من كتب النحو أو الصرف ، وليست الدوكسيات قاصرة على البوادى بل انها تنتشر فى المدن ، ففى مقديشيو يبلغ عددها حوالى ٣٠٠ دوكسيا وأغلبها فى الأحياء الشعبية وعدد التلاميذ فى كل دوكسى حوالى ٨٠ تلميذا ، ويوجد فى باقى الأقليم الجنوبى عدد كثير منها ، وفى بعضها يقوم بالتعليم فيها سيدات ويسمين حرمات وقد بنيت أخيرا فى الأقاليم — أبنية حديثة للدوكسيات عن طريق مشروع « ساعد نفسك » ، ويوجد فى مدينة هرجيسا بالاقليم الشمالى حوالى ٥٠ دوكسيا ومتوسط تلاميذ كل دوكسى حوالى ١٠٠ طفل وطفلة وبعض الدوكسيات بها معلمان أو ثلاثة ويتقاضون مرتبهم من صاحبها ، وعند اتمام التلميذ حفظ القرآن فى المدينة مع تجويده يلبس أحسن ما عنده من ثياب ويدور فى المدينة فى حفل كبير يحيط به أهله مع جمع كبير من الناس ليعلم الجميع أن هذا الصغير قد أصبح شيخا وهو فى سن الصبا حافظا للقرآن كله . وحبذا لو اعتنى بمعلمى الدوكسيات عن طريق تدريبهم على أساليب التعليم الحديثة وتزويدهم ببعض العلوم مع رفع مستواهم المادى ، حينئذ يكون للدوكسيات أثرها الجبار فى تنشئة الأجيال على حفظ القرآن واجادة اللغة العربية كتابة ونطقا .

المرحلة الثانية : التعليم فى المساجد :

الصوماليون يعتبرون علم الدين من فقه وتفسير وحديث وتوحيد ومناقب مقاصد ، ويعتبرون اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة ونصوص وسائل ضرورية تجب دراستها لمعرفة علوم الدين ، هذه المواد كلها تدرس فى المساجد على يد علماء صوماليين كرسوا وقتهم لتعليم طلاب المساجد ابتغاء وجه الله ولا يتقاضون أجرا على التعليم ، أما الطلاب فان الأهالى يطعمونهم ويكسونهم ويقدمون لهم بعض المعونة ويعتبرون ذلك قربى الى الله .. هذا النوع من التعليم ليس له منهج معين ، ولا زمن محدد و لاعدد معين من السنين فلا امتحان فيه وبالتالى لا يعطى لدراسته شهادات وانما يتعلم المتعلم ليفهم حكم الشريعة فى العبادات وفى المعاملات والتقاضى فيقضى بين المتنازعين ويفتى الناس متطوعا ، وقد يعطونه جعلا وهو قدر من المال

---

(١) التعليم فى الصومال : للاستاذ ابراهيم حاشى محمود .

يسمونه « حق العلم » ولهؤلاء العلماء قدر كبير فى الصومال ولهم رأيهم الذى يسمع ولهم مواقفهم المشهودة فى مقاومة الاستعمار .

وبعض الطلاب ينتقلون بين البلادفىالبوادى يعلمون التلاميذ تحت الأشجار وكثيرا ما يقضى بعض طلاب العلم حياتهم مجاورين فى المساجد كما هو الحال فى جامع شيخ عبد القادر وجامع مرواس بمقديشيو ، ومواد التعليم الدينى مركزة فى عدد من المتون التى تجمع أمهات المسائل وفى مشروع هـــذه المتـــون .

وهؤلاء التلاميذ يتصلون بالأزهر عن طريق الكتب التى يدرسونها فهى من الأزهر ، وبعضهم يكمل تعليمه فى الأزهر فيسافر بطريقته الخاصة أو عن طريق المنح ، وأعرف بعضا منهم حضر الى مصر ماشيا على قدميه هذه المسافة الطويلة وهدفه أن يلتحق بالأزهر الشريف ، ومن قديم والصوماليون يراسلون الأزهر لاستفتائه فى مسائل استغلق عليهم فهمها ويأتيهم الرد عليهـــا .

المرحلة الثالثة : الدراسة بالمعاهد الدينية :

عملت فى الصومال من عام ١٩٥٧ ــ ١٩٦٣ وكنت رئيسا لبعثة الأزهر هناك وقد خبرت عن قرب طلاب المساجد ، ورأيت شدة تعلقهم بالأزهر وحرصهم على تعلم علوم الدين واللغة العربية ، وهم عدد لا بأس به ، ويوجد منهم فى مقديشيو وفى البادية عدد كثير ، ووجدت أنهم يقصرون دراستهم على هذه المواد ولا يعرفون شيئا عن المواد الحديثة ، ولا يحصلون على شهادات دراسية وبالتالى لا يشتغلون فى أية وظيفة من وظائف الدولة على علمهم وخلقهم الرفيع وأمانتهم ، ورأيت أنهم يعيشون منفصلين عن مجتمعهم ففكرت فى جمعهم من المساجد ليتلقوا العلوم الدينية والعربية والمواد الحديثة فى معهد دينى على نظام معاهد الأزهر وعرضت الأمر على بعض المخلصين من أبناء العاصمة فرحبوا بها كل الترحيب .. وأعلنوا عن هذه الفكرة ووافق على ضم هذا المعهد اليه وأنشىء معهد مقديشيو الدينى لطلاب المساجد فى عام ١٩٦١ ووردت اليه أسئلة امتحان الشهادة الابتدائية الأزهرية من الأزهر ، وعقدت لجنة امتحان ووكل الأزهر الى رئاستها وبعد الامتحان أرسلت أوراق الاجابة لتصحح فى مصر وفاز المعهد الذى ــ أنشىء لأول مرة بمرتبة متقدمة من بين معاهد الأزهر ومنح الطلاب الشهادات الموقع عليها من شيخ الأزهر ــ وقد كنت تشهد منظرا مؤثرا حينما تسلم الطلاب لأول مرة شهادة ــ من الأزهر وهم فى الصومال وعليها توقيع شيخ الأزهر ، لقد اعتبروها وثيقة لها قداستها وجلالها ، كذلك منح طلاب معهد برعو الدينى ، فى الاقليم الشمالى هذه الشهادة للناجحين منهم وقد استمر المعهدان فى أداء رسالتهما ووصـــلت مراحل التعليم فيهما الآن الى السنة الثانيـــة الثانوية .

وتعددت بعد ذلك المعاهد الدينية فيوجد الآن ثمانية معاهد أزهرية وجميعها معاهد اعدادية ما عدا معهدى مقديشيو وبرعو فهما اعدادى وثانوى وأهم هذه المعاهد .

١ — معهد مقديشيو الدينى .

٢ — معهد برعو الدينى وأطلق عليه اسم معهد جمال عبد الناصر .

٣ — معهد بلدوين الدينى .

٤ — معهد بيدوا الدينى .

٥ — معهد جلكاعيو الدينى .

٦ — معهد كسمايو الدينى .

٧ — معهد بريمو الدينى .

٨ — معهد هرجيسا الدينى .

ويوجد فى مقديشيو معهد اسمه معهد الدراسات الاسلامية و قد أنشىء عام ١٩٥٣ فى عهد الادارة الوصية قبل الاستقلال وكان هو المنفذ لدخول شيوخ الأزهر الى الصومال للتدريس فيه قبل الاستقلال ومدة الدراسة به ٤ سنوات وتخرج الفوج الأول منه عام ١٩٥٧ — وقد طورناه حينما كنت شيخا له وألحقنا به تخصصا للقضاء ليخرج القضاة الشرعيين والمحامين وتخصصا للتدريس ليخرج المدرسين وكنت أتمنى أن يطور ليكون نواة للجامعة الاسلامية فى الصومال على نظام كليات الأزهر الشريف وأرجو أن تتحقق هذه الأمنية فى عهد الصومال الثورة . وقد خرج هذا المعهد مجموعة كبيرة من خيرة الشباب الصومالى الذين تثقفوا بالثقافة العربية والدينية بعمق وأصالة وأكثرهم تولى مناصب رفيعة فى وزارة التربية والتعليم الصومالية وبعضهم حصل على منح من جمهورية مصر العربية لاتمام تعليمه فى الأزهر وفى الجامعة وفى الكليات العسكرية ولا أزال أفخر بأن من بين تلاميذى فى هذا المعهد الذين أتموا تعليمهم فى الكلية الحربية بمصر ضباطا الآن فى مجلس قيادة الثورة الصومالية التى قام بها صفوة من خيرة الشباب المثقف فى الصومال بقيادة اللواء محمد سياد وذلك فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٦٩ . لكن وقد علمت أخيرا مع الأسف أن هذا المعهد لا يأخذ حظه من الرعاية وهو آخذ فى الاضمحلال .

(ثانيا : التعليم الحكومى)

١ — تطور هذا النوع من التعليم :

لقد كان التعليم فى الصومال قبل النصف الثانى من هذا القرن تعليما لغويا دينيا فقط ، ونشبت الحرب العالمية الثانية وكانت ايطاليا تستعمر الاقليم الجنوبى وبريطانيا تستعمر الاقليم الشمالى ، وقد استولت ايطاليا أول الأمر على منطقة الصومال البريطانى وبقيت فيها لمدة سبعة أشهر ثم انسحبت منها فى أوائل عام ١٩٤٠ وعادت اليها القوات الانجليزية المرابطة فى عدن ، وفى عام ١٩٤١ وقعت الصومال كلها فى يد بريطانيا عدا الشمال الأقصى الذى كانت قوات فرنسا الحرة تسيطر عليه وانتهت الحرب والبلاد تحت وطأة الحكم البريطانى ، وفى أثناء الحرب حدثت تفاعلات نتيجة الاتصال المباشر بين

الجنس الأجنبى الوافد بعلمه وصناعته وأسلحته الحديثة ، وأيقن الشعب الصومالى أنه لابد له من نهضة علمية جبارة يستطيع بها أن يقف فى وجه هذه الدول المتقدمة ، فأنشأ الأهالى المدارس وعينوا فيها مدرسين غير مؤهلين ، كما أنشأت الأحزاب والجمعيات بدورها مدارس كثيرة ، وشجعت بريطانيا رغبة الشعب فى التعليم ولكن بلغتها الانجليزية .

ثم وضعت الأمم المتحدة صوماليا تحت الوصاية لمدة عشر سنوات تبدأ فى ديسمبر سنة ١٩٥٠ وتنتهى فى الثانى من ديسمبر سنة ١٩٦٠ باشراف ايطاليا عليها يراقبها مجلس استشارى من الأمم المتحدة مكون من مندوب من مصر ومن الفلبين ومن كولومبيا وذلك لاعداد البلاد سياسيا واجتماعيا للحكم الذاتى ، ولما عادت الادارة الايطالية الوصية فى ابريل عام ١٩٥٠ بدأت تفتح مدارس لتدريب المعلمين لتدريس لغتها ، ثم قامت مصر بفتح باب القبول فى مدارسها للطلاب الصوماليين وبهذا استقبلت مصر أول بعثة صومالية تغادر البلاد للتعليم فى الخارج عام ١٩٥٢ وبعدها بدأت ايطاليا تفتح المدارس وتستقدم للتدريس فيها مدرسين كثيرين من ايطاليا ، ودربت بعض الصوماليين على تدريس اللغة الايطالية وأرسلت عددا كبيرا منهم الى بلادها وفى نفس الوقت كانت المدارس آخذة فى الانتشار وبخاصة فى المرحلة الابتدائية وقد استقل الصومال واتحد الاقليم الجنوبى مع الشمالى فى أول يوليو سنة ١٩٦٠ ومنذ ذلك الحين اتسع نطاق التعليم وفتحت المدارس الحكومية الكثيرة فى مراحل التعليم المختلفة . ومراحل التعليم الحكومى تسير كالآتى :

(أ) **المرحلة الابتدائية :** ومدة الدراسة بها ٤ سنوات وتدرس بها المواد باللغة العربية مع وجود لغة أجنبية .

(ب) **المرحلة الاعدادية :** ويلتحق بها التلميذ الحاصل على الشهادة الابتدائية ومدة الدارسة بها ٤ سنوات وتنقسم هذه المدارس الى قسمين :

١ — القسم الانجليزى وتدرس فيه جميع المواد باللغة الانجليزية عدا اللغة العربية التى تدرس كلغة اضافية .

٢ — القسم الايطالى وتدرس فيه جميع المواد باللغة الايطالية عدا اللغة العربية التى تدرس كلغة اضافية .

واهم مشكلات هذه المرحلة أن التلميذ ينتقل فجأة من المدرسة الابتدائية والتدريس فيها باللغة العربية الى المدارس الاعدادية والتدريس فيها باللغة الانجليزية أو الايطالة .

(د) المرحلة الثانوية : ويلتحق بها الطالب الحاصل على الشهادة الاعدادية ومدتها ٤ سنوات ويحصل الطالب فى نهايتها على الشهادة الثانوية التى تمكنه من الالتحاق بالجامعة الصومالية التى كانت تسمى « معهد صوماليا الجامعى » وهى كليتان للاقتصاد والحقوق ويمكن للطالب بعد حصوله على الشهادة الاعدادية أن يكمل تعليمه فى كلية المعلمين بأفجوى التى تخرج مدرسين

للمدارس الابتدائية . والتدريس فى هذه الكلية باللغة الانجليزية ويوجد بها قسم لاستقبال الحاصلين على الشهادة الثانوية ، وبعد تخرجهم منها يتم تعيينهم فى المدارس الاعدادية ، كما توجد مدرسة للادارة ويلاحظ أن جميع المدارس الحكومية التعليم فيها مشترك فى جميع المراحل بنين وبنات .

(ثالثا : التعليم الوطنى (١))

ونقصد به التعليم الذى يسير وفق مناهج مدارس جمهورية مصر العربية ، وتدرس فيه المواد المختلفة ، باللغة العربية وسمى بالتعليم الوطنى لأن مدارسه فى الأصل أنشأتها لجان قومية من الصوماليين الوطنيين المؤمنين بضرورة مشاركتهم مشاركة ايجابية فى اصلاح بناء التعليم ، والحفاظ على لغة القرآن الكريم ،و أنشئت أول مدرسة فى مقديشيو عام ١٩٥٤ ثم أنشئت مدارس فى أنحاء أقاليم الصومال ، وأنشأت الأحزاب والجمعيات مدارس أهلية على نظام المدارس الوطنية ، وتساندها البعثة التعليمية العربية بالكتب والمدرسين ويوجد فى مقديشيو وحدها من المدارس الوطنية المدارس الآتية :

١ **مدرسة جمال عبد الناصر الثانوية** : ومبناها تمتلكه البعثة التعليمية لجمهورية مصر العربية بالصومال ، وبها ١٧ فصلا ومجموع تلاميذها ٩٢٥ تلميذا وتلميذة وعدد المدرسين فيها ٣٣ مدرسا منهم مشرف وأمين معمل .

٢ **معهد المعلمين الوطنى بمقديشيو** : وقد انشىء فى العام الدراسى ١٩٦٦/٦٥ والغرض من انشائه اعداد مدرسين للمدارس الابتدائية بالصومال يدرسون فيها جميع المواد باللغة العربية . وبه الآن ٦ فصول وعدد طلبته ٢٤٠ طالبا وطالبة .

٣ ــ **مدرسة محمد عبد الله حسن الاعدادية** : بمقديشيو وقد أنشئت عام ١٩٦٩/٦٨ ــ وأطلق عليها اسم الزعيم الصومالى البطل الشهيد محمد عبد الله حسن ، وقد قامت البعثة التعليمية العربية ببنائها ضمن مبانى مجمع المؤتمر الاسلامى وبها ٩ فصول وعدد تلاميذها ٣٩٠ تلميذا وتلميذة .

٤ ــ **مدرسة المجمع الاسلامى الاعدادية** : وتشرف عليها البعثة التعليمية فنيا واداريا فقط حيث أنها ملك لصاحب المحفل المذكور وبها ٣ فصول اعدادى وعدد تلاميذها ١٣١ ويعمل بها ٥ مدرسين .

وفضلا عن ذلك يوجد عدد ٩ مدارس ابتدائية وطنية فى مقديشيو وتوجد مدارس وطنية فى المدن الآتية :

هرجيسا بالاقليم الشمالى ، جلكاعبو ، بلدوين ، بيدوا ، ميركا ، براره ، جمامه ، كسمايو ومدرسة كسمايو ابتدائية واعدادية وثانوية وهى أكبر المدارس الوطنية فى الصومال بعد مدرسة جمال عبد الناصر الثانوية بمقديشيو وقد أطلق عليها أخيرا اسم المغفور له جمال عبد الناصر احياء لذكراه .

---

(١) التقرير السنوى للبعثة التعليمية العربية بالصومال لعام ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ بتصرف .

(رابعا : التعليم الأجنبى (١))

يوجد بالصومال كثير من المدارس الأجنبية التابعة لجاليات مختلفة ، وأهمها ما يأتى :

١ — **فى مقديشيو :** توجد المدرسة الثانوية الروسية وقد أنشأتها الجالية الروسية وتعرف باسم مدرسة بنادر الثانوية والدراسة فيها باللغة الروسية وتبعث بخريجيها للحصول على الشهادة الجامعية من روسيا ، وهى مدرسة كبيرة وعليها اقبال كبير ، من الصوماليين . كما توجد المدرسة الايطالية وتشمل الحضانة والروضة والابتدائى والاعدادى والثانوى — والطلبة فيها خليط من الايطاليين والصوماليين وبعض أبناء رجال السلك السياسى فى مقديشيو من الأجانب ، وخريجو هذه المدرسة يعينون فى الوزارات والمصالح الحكومية بالصومال الجنوبى ، لأن اللغة الايطالية هى لغة دواوين المصالح الحكومية المختلفة .

٢ — **فى بيدوه :** يوجد بها كثير من أبناء الجاليات المختلفة ، الجالية الايطالية ولها مدرسة ابتدائية والجالية الكندية تقوم بتعليم اللغة الانجليزية مساء لتقوية التلاميذ فيها ، والجالية الروسية وتقوم بتعليم اللغةالروسية مساء لمن يرغب فى تعلمها .

٣ — **فى براره :** توجد مدرسة ابتدائية ملحقة بالكنيسة الايطالية ونظام الدراسة بها داخلى وبعد الانتهاء من هذه المرحلة يلحق التلميذ بمدرسة اعدادية فى بلد أخرى ثم ينتهى به الأمر الى التعليم العالى فى ايطاليا .

٤ — **فى بلدوين :** ويوجد بها مدرسة ايطالية ابتدائية يديرها المبشرون كما يوجد بها فصول لتعليم اللغة الانجليزية ويشرف على هذه الفصول بعض الأجانب العاملين فى مستشفى الأمريكان .

٥ — **فى كسمايو وجمامة :** يوجد بكسمايو مدرسة ايطالية عدد فصولها ٥ فصول وعدد تلاميذها ١٥٧ تلميذا ، ويوجد بمدينة جمامة مدرسة أمريكية تضم ٧٥ طالبا وبالمدرسة قسم داخلى يضم ٣٨ طالبا ويوجد بالمدرسة قسم مسائى يضم حوالى ٤٨ طالبا وطالبة والدراسة بهذا القسم ٤ أيام فى الأسبوع، كما تقوم المعلمات الأمريكيات وزوجات الأطباء ومدرسى المدرسة بتعليم النسوة أشغال الابرة والتطريز وشئون المنزل .

وهذه المنطقة تعتبر من المناطق التى ينشط فيها المبشرون .

---

(١) من التقرير السنوى للبعثة التعليمية العربية بالصومال لعام ١٩٧٠ — ١٩٧١ .

الباب الثانى

الارتباط العضوى بين مصر والصومال فى الماضى والحاضر

الفصل الأول : عصر ما قبل التاريخ

الفصل الثانى : العصر الفرعونى

الفصل الثالث : الصومال وبلاد العرب

الفصل الأول

عصر ما قبل التاريخ

كل أمة لها تاريخ ما دامت قد وجدت على ظهر هذه الأرض . فالصومال اذن له تاريخ قديم ، بل موغل فى القدم ، لكن أين هو ؟ هل كان أبناؤه يعتمدون على الحافظة فيحفظون الأحداث ولا يدونونها شأن الأمة العربية من قديم ؟ او أن الاستعمار الذى تعاقب على هذه البقعة العزيزة من أمريقيا كان يعتمد طمس معالم تاريخها ، حتى اذا نظرت خلفها لا تجد لها ماضيا ، فتيأس من حاضرها ، وبالتالى لا تجد الحافز الذى يدفعها الى رسم المستقبل العزيز المشرق الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بالماضى ، كل ذلك ممكن .. ولعل فى التنقيب عما فى باطن الأرض من آثار قديمة ما يلقى أضواء على هذا التاريخ البعيد ..

وأن الباحث الذى يدقق فى بحثه يجد جذورا للعلاقات القوية بين مصر والصومال تمتد الى عصور ما قبل التاريخ . ان البحر الأحمر يربط ما بين مصر والصومال فمصر هى الحارسة على مدخله من الشمال ، والصومال هى الحارسة على مدخله من الجنوب ، والرحلات البحرية متواصلة بينهما منذ أقدم العصور قد بدأت الصلات بين مصر والصومال فى ذلك العصر البعيد حينما هاجرت موجات من الجنس الحامى قادمة من آسيا الى قارة افريقيا عبر بوغاز باب المندب الذى كان فى ذلك الزمن السحيق أرضا يابسة ، وقد استقرت بعض جماعات من هذا الجنس فى منطقة القرن الأفريقى واستوطنته . بينما تابعت جماعات أخرى هجرتها نحو الشمال وحطت رحالها فى جنوب مصر ويعرف أفراد هذه الجماعات الأخيرة فى علم الأجناس بالحاميين الشماليين وقد تركوا آثار حضارتهم فى الآلات الحجرية التى تنتمى لعصر ما قبل الاسرات المصرية . اما أفراد الجماعات التى استوطنت القرن الأفريقى فيعرفون بالحاميين الجنوبيين وهؤلاء هم أسلاف الصوماليين (١) ومما يؤكد وحدة الجنس بين المصريين القدماء والصوماليين القدماء الآثار التى عثر عليها فى جنوب الصومال وهى أسلحة حجرية ترجع للعصر الحجرى وتظهر فيها تأثيرات الصناعة التى تميزت بها بلدة حلوان فى مصر ، كما توجد لوحات اردوازية ترجع لعصر ما قبل الأسرات فى مصر ، وعليها نقوش تؤيد الصلات المصرية القديمة بالصومال ، ومن أشهر هذه اللوحات لوحة الملك « نارمر » المحفوظة فى المتحف المصرى بالقاهرة — ومما يدل على الأصل الواحد فى الجنس بين المصريين القدماء والصوماليين التجانس فى التكوين الجسمانى لكل منهم ، وقد وصف الأستاذ ألبرت سميث المصريين الأوائل بقوله :

(١) العائلة البشرية للدكتور ابراهيم رزقانه .

« ينتمى المصريون الذين عاشوا قبل عصر الأسرات الى هذه الجماعة التى تشتهر بشعرها القصير الأسود وعيونها السوداء تماما مثل سكان ، شاطىء البحر المتوسط وقد انتشر هذا الجنس حتى تعدى مصر العليا الى بلاد النوبة جنوبا ، وامتد شرقا حتى بلغ منطقة البحر الأحمر الواقعة فى السودان ، واستمر فى امتداده حتى بلغ بلاد الصومال لتتبنى هذه المجموعة المتجانسة جنسيا عند مصب نهر تانا » .

الفصل الثانى

العصر الفرعونى

يمتد العصر الفرعونى من حوالى عام ٣٢٠٠ ق ٠ م وهو بدء حكم الأسرة الأولى الى عام ٣٣٢ ق٠ م وهو تاريخ غزو الاسكندر المقدونى لمصر وانتهاء حكم الفراعنة .

ويدل التاريخ على وجود الصلة التجارية المزدهرة فى بداية العصر الفرعونى فكانت منتجات مصر تصل الى الصومال ، ومنتجات الصومال تصل الى مصر ، وحوالى منتصف العصر الفرعونى القديم أخذت السفن المصرية تجوب البحر الأحمر وخليج عدن فى طريقها الى بلاد الصومال ، ووجد فى الآثار المصرية القديمة فى العصر الفرعونى صورة لرجل من أهل الصومال يدعى « هرتيزى » رسمت بجوار صورة لأحد أبناء الملك خوفو بانى الهرم الأكبر ، ولعل هرتيزى هذا كان مكلفا بالاشراف على الرحلات البحرية التى تجوب البحر الأحمر بين مصر والصومال ، وقد كانت العلاقة التجارية قوية لأن الصومال تنتج البخور واللبان وكان للبخور اهمية كبرى فى مصر القديمة لأنه عنصر أساسى فى الطقوس الدينية اذا كان يحرق فى معابد الالهة ومعابد الملوك ومقابر الموتى ويستخدم فى عملية تحنيط أجساد الموتى ، وبمرور الزمن تعددت السلع المستوردة من الصومال التى سموها ببلاد « بونت » مثل العاج والأبنوس وجلد الحيوان والنسانيس والقردة والفهود الحية ، وفى مقابل ذلك كانوا يعطون سكانها الأسلحة والثياب والحلى وكانت المسافة من مصر الى بوغاز باب المندب وتبلغ ٢٠٠٠ كيلو متر تقطعها السفن فى ثلاثين أو أربعين يوما . ومع أن هذه الرحلة كانت شاقة جدا الا أن الفراعنة كانوا يحرصون عليها حرصا شديدا .

وهناك بعثة مشهورة فى التاريخ القديم وهى بعثة الملكة حتشبسوت الى الصومال ، وقد نقشت أخبار هذه البعثة على جدران معبد الملكة حتشبسوت المعروف بمعبد الدير البحرى ويوجد فى البر الغربى بمدينة الأقصر ولا تزال صورها وألوانها الزاهية ورسومها الدقيقة باقية الى اليوم . والكتابات والنقوش المعروفة على المعبد تذكر الغرض من ايفاد البعثة بطريقة تصويرية وتبين أن البعثة التجارية أبحرت فى خمس سفن شراعية كبيرة وأرسلت مع قائدها خطابا لملك الصومال يحمل تحياتها وترجوه أن يعمل على تسهيل مهمة البعثة ووصلت البعثة بعد شهرين ، وتخبرنا الكتابات المصرية أن الصوماليين سألوا المصريين فى تعجب ودهشة : « كيف أتيتم الى هذه الأرض التى نسيها أجدادكم » كيف حال فرعون مصر ؟ ثم تناولت البعثة مع حكام الصومال الهدايا واستضاف الملك قائد البعثة فى قصره الى أن تمت المبادلات بين المصريين

والصوماليين فأخذ المصريون البخور والقرفة واللبان والأخشاب التى لهـا رائحة طيبة وجلود الحيوان والنسانيس والقردة وريش النعام ، وقـدم المصريون كل ما أحضروه معهم من سلع أهمها الحلى والأساور والأقمشـة والخناجر والبلط والصناديق المزخرفة وبعد انتهاء عملية التجارة تأهب المصريون للعودة وأقام لهم الملك وليمة ، كما أقيم احتفال عظيم لوضع تمثال للملكة حتشبسوت الذى أحضره قائد البعثة معه لهذه المناسبة ولتخليد ذكرى هذه الزيارة ، ويقال : ان بعض الصوماليين ركبوا السفن المصرية وصحبوا البعثة المصرية مهاجرين الى مصر .

وبعد وفاة الملكة حتشبسوت حافظ من بعدها من الملوك على ارسال البعثات الى بلاد بونت ، وبخاصة عند اعتلائهم العرش لتكون بمثابة اعلان لبداية حكمهم فى مصر .

ومن الجميل حقا أن أخبار هذه الصلات القديمة بين مصر وبلاد بونت لا يزال صداها يتردد الى اليوم فى الصومال بالاعجاب وللدلالة على الصلة الوثيقة بين البلدين مما يدعم الصلة القوية التى تربط بينهما اليوم . وقد ذكرنا فى الباب السابق التشابه اللغوى بين بعض ألفاظ اللغـة المصرية القديمة وبين نظائرها فى اللغة الصومالية . والصوماليون يحتفلون حتى اليوم كل عام بعيد يسمى عيد فرعون .. وجاءت كلمة فرعون اليهم من الصـلات القديمة بين البلدين وانتظام هذه الصلة . والتقارب الشديد بين الشعبين .

الفصل الثالث

الصومال وبلاد العرب

يرجع تاريخ ابتداء الهجرات العربية الى شواطىء الصومال الى ماقبل الاسلام بحوالى خمسة قرون ، فقد كانت الظروف الجغرافية والاقتصادية تحتم هذا الارتباط البشرى الوثيق ، وكانت العمليات التجارية بين العرب فى أسواق افريقيا وآسيا ، واتسع نطاق تجارتهم ، فى مناطق افريقيا الشرقية حتى اضطروا الى اقامة مراكز تجارية دائمة لهم وقد ارتبطت الأمة الصومالية بالأمة العربية منذ فجر التاريخ ارتباطا وثيقا قائما على وحدة الأصول الجنسية ، وقد دعم من تقاربهما سهولة الاتصال البحرى فكان بين الأمتين تكامل بشرى وطبيعى وجغرافى وقد كان من أثر الاحتكاك الحضرى والتجارى بين العرب والصوماليين ، أن اندفع الصوماليون بقوة نحو تحسين انتاجه وزيادته لتدعيم التبادل التجارى مع العرب ، وكان يتيح تزايد الحركة التجارية بين الأمتين تزايد فى الهجرات العربية واستقرار فى الموانى التجارية بهدف التجارة ثم تحولت الى استقرار من أجل الزراعة وتحسين مستوى المعيشة وأحيانا يكون هذا الاستقرار نتيجة لاختلاف مذهبى أو عقائدى مما دفع بعضهم الى الهجرة والاستيطان فى الصومال ، وخلال فترة الحروب الدينية والمذهبية فى بلاد العرب حتى ظهور الاسلام تزايدت حركة الهجرة والاستيطان العربى على سواحل شبه جزيرة الصومال وامتدت من موانى الشمال الى الموانى الشرقية حتى ظهرت جاليات عربية كبيرة العدد فى زيلع وبربره ومقديشيو وبراره ومركا ، وبهذه الأعداد الضخمة من العرب المهاجرين يمكن أن يقال : لقد بدأ عهد جديد فى أفرقة العرب وصوملتهم وانصهارهم فى الشعب الصومالى ، وجاء الاسلام فأكد هذا الانصهار وجعل من العرب والصوماليين سبيكة واحدة — تمتد اليد الصومالية المتوضئة الى شقيقتها المتوضئة العربية وكأنهم اغصان مورقة مزهرة انبثقت من دوحة واحدة هى دوحة الجنس الواحد ، ودوحة الدين الواحد وهو الاسلام .

وقد كان لانهيار سد مأرب عام ١٢٠ ميلادية أى قبل الاسلام بحوالى خمسة قرون أثره الكبير فى هجرة كثير من العرب الى الصومال واستيطانهم هناك ، حتى اذا ما أشرق نور الاسلام كانت الصومال من أسبق البلاد التى وصل اليها نوره وقد سارعت الى اعتناقه والحفاظ عليه ونشره فى جميع الجهات لأنهم وجدوا فيه حياتهم وتحقيق كرامتهم وتأكيد الأخوة والمساواة التى لا تفرق بين جنس وجنس ولا بين لون ولون ، بل التفاضل يكون بشىء واحد هو التقوى والعمل الصالح . حسبما قال القرآن الكريم **(يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى . وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ..... ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير (١)) .**

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

الباب الثالث

الصومال الاسلامي

الفصل الأول : تاريخ دخول الاسلام الى الصومال

الفصل الثانى : عوامل انتشـــاره

الفصل الثالث : الطرق الصوفية وأثرها فى نشر الاسلام

الفصل الرابع : أثر المساجد فى الحفاظ على الشريعة الاسلامية واللغة العربية

الفصل الأول

تاريخ دخول الاسلام الى الصومال

١ ـ الاسلام ودعوته الى الأخوة الدينية :

رأينا الارتباط الوثيق الذى يجمع بين الشعبين المصرى والصومالى من قديم ، ويقوم هذا الارتباط على وحدة العنصر بين البلدين ، وظهر الاسلام فى بلاد العرب ووصل نوره الى منطقة شرق افريقيا ، وبالتالى وصل الى الصومال ، والاسلام حينما ينتشر يجمع القلوب على عقيدة واحدة ، هى عقيدة التوحيد ، وعلى عبادة واحدة ، فالصلاة مثلا تربط المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها برباط واحد وهى تؤكد ثلاث روابط : رابطة تربط المصلى بسائر اخوته المؤمنين ، هذه الرابطة كثيرا ما تتمثل فى صورة الى الصراط المستقيم ، ورابطة تربط المصلى بامامه فهو يقف خلفه ولا يتحرك الا بحركته ، لا يدخل الصلاة الا اذا دخل امامه ، ولا يركع الا اذا ركع ، ولا يسجد الا اذا سجد ، ولا ينهى صلاته الا اذا أنهاها الامام ، ورابطة ثالثة تربط المصلى بسائر اخوته المؤمنين ، هذه الرابطة كثيرا ما تتمثل فى صورة مجسمة فى جماعة حاضرة نراها راى العين ، وتحس فيها تزاحم المناكب ، وتناسق الحركات والسكنات حتى اذا ما غابت هذه الجماعة عن الأبصار فلن تغيب عن البصائر واذا تجردت من الاشباح فهى ماثلة فى القلوب والأرواح فاذا ما صليت فريضة من الفرائض منفردا ، فى أية بقعة من الأرض فلا ينبغى أن تحس أنك واحد منفصل عن الجماعة بل تذكر أنك عضو فى جسد واحد كبير تذكر أن عن يمينك وعن يسارك ومن أمامك ومن خلفك ملايين المصلين فى مشارق الأرض ومغاربها يشدون أزرك ويقفون موقفك ويرددون مقالتك عينها ، فلست ترى مصليا منفردا يخاطب ربه بقوله : اياك أعبد واياك أستعين بل يقول : اياك نعبد واياك نستعين ، يعنى لا أعبدك وحدى يارب ، ولكن يعبدك معى ملايين المصلين فى شتى بقاع الأرض انهم اخوتى نجتمع على الحب والود والاخاء ، ولو تناءت الديار وبعدت الأوطان ويؤكد هذا الارتباط الاتجاه فى الصلاة الى جهة معينة هى الكعبة المشرفة فالصلاة لا تصح بدون الاتجاه اليها ، ولم يكن نظام الصلوات كنظام الدعوات المنثورة التى لا يشترط فى أدائها اتجاه الى جهة معينة كما قال تعالى : **(ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله)** . بل ان لها جهة محددة وهى الكعبة ذلك لأن الله حين شرع الصلوات على هذا الوجه الموحد فى أسلوبه وصورته أرادها أن تكون داعية الى الأخوة ووحدة الكلمة تحت راية واحدة هى راية الاسلام الحنيف .

ونرى تعاليمه تؤكد هذه الأخوة التى ترتفع فوق العصبية القبلية والجنسية، فالقرآن الكريم يقول : **(انما المؤمنون اخوة)** والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (المسلمون كرجل واحد ان اشتكى رأسه اشتكى كله . وان اشتكى عينه اشتكى كله) ويقول : (ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ان اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) ويدعو الناس كى يحب بعضهم بعضا ، بل يجعل الحب غاية الايمان فيقول : (والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا) ويسمو الرسول بالحب الى أعلا الآفاق حين يقول : « ان من عباد الله أناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانتهم من الله تعالى ، قالوا يا رسول الله : تخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فو الله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا قول الله تعالى » : **(ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)** .

ويؤكد الرسول على بساطة الاسلام حيث يقول : (يأيها الناس ان ربكم واحد ، وان آباكم واحد ، الا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر الا بالتقوى ، **(ان أكرمكم عند الله أتقاكم)** — الا هل بلغت) .

لهذا كله فان الاسلام يجد طريقه الى القلوب سهلا ميسرا ، وحينما تصل دعوته الى أية جهة من جهات الأرض فان أهلها يسارعون الى اعتناقه ويرتبطون ارتباطا وثيقا باخوانهم المؤمنين ، ويزداد ارتباطهم بالعرب الذين بعث منهم رسول الله الذى أخرج الانسانية من الظلمات الى النور ، واللغة العربية لها قداستها عند المسلمين فى سائر جهات الأرض لانها لغة القرآن ، ومعلوم أن الاسلام دين دعوة والرسول أرسله الى الناس جميعا **(وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)** ودعوة الاسلام تقوم فى الأساس على ثلاثة أصول وتعتبر أصولا فى جميع رسالات السماء وهى الايمان بالله الواحد ، والايمان باليوم الآخر والعمل الصالح ويجمع هذه الأصول الثلاثة قول الله تعالى : **(ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١))** .

٢ — أسبقية الصومال فى الاسلام :

كانت الصومال فى استقبال دعوة الاسلام أسبق من أية دولة أخرى افريقية وآسيوية فلها صلات قديمة ببلاد العرب ويقيم بها جماعات كثيرة من العرب خصوصا فى سواحلها منذ عهد انهيار سد مأرب فى عام ١٢٠ ميلادية ، وما تلا ذلك من عصور . ويذكر المؤرخون أن الصلات بين الصومال وبين شبه جزيرة العرب قديمة جدا ترجع الى ما قبل ظهور الاسلام بعدة قرون عندما كان جزءا من امبراطورية تجارية عربية كبيرة تضم جنوب شبه

---

(١) سورة البقرة آية ٦٢ .

جزيرة العرب وساحل خليج عدن وجزءا من ساحل افريقيا الشرقى وكان الصومال يساهم فى نشاط هذه الامبراطورية التجارية بمنتجاته التى اشتهر بها من قديم وأهمها اللبان والبخور والعاج ، وبزوال هذه الامبراطورية فى القرون الأولى الميلادية انقطعت الصلة تقريبا بين الصومال وبلاد العرب الجنوبية وتوقفت هذه التجارة الرائجة حتى كان ظهور الاسلام وعندما بدأ نور الاسلام يشع فى بلاد العرب أخذ نشاط العرب يتزايد على سواحل الصومال ولجأ كثير من المسلمين الى هذه السواحل حيث أسسوا المركز التجارية مثل برارة ومقديشيو وزيلع وبربره ، لقد سمع سكان البلاد الواقعة فى شرق افريقيا عن هذا الدين الجديد الذى ظهر فى شبه الجزيرة العربية منذ أيامه الأولى وعن دعوته الى الحرية والاخاء والمساواة ، وعن انتصاره على الكفار وعبدة الأوثان واسراع القبائل العربية الى الدخول فيه أفواجا ، رغم معارضة المشركين له وايذائهم أتباعه ، ووصول هذه الأنباء الى تلك المناطق سهل ميسور فالبلاد العربية تقع فى مواجهتها والعلاقات التجارية قائمة لم تتوقف والسفن العربية ترد الى الموانى وهى محملة بالمنتجات والسلع ، ويروى رجالها من التجار والملاحين أنباء الأحداث الضخمة الجارية فى البلاد العربية . لكن متى وصل الاسلام الى الصومال ؟ لقد تعددت آراء المؤرخين فى ذلك على الوجه الآتى (١) :

الرأى الأول :

يقول : ان عهد الصومال بالاسلام كان عام ١٢٢ هجرية (٧٣٩ م) عندما هاجرت جماعة الزيدية الشيعية أتباع زيد حفيد على بن أبى طالب فرارا من اضطهاد الأمويين بعد أن أعدم الخليفة الأموى زعيمهم زيدا واستقرت هذه الجماعة على ساحل بنادر وظل الزيدية يسيطرون على هذه المنطقة مدة تقربمن ٢٠٠ عام . وفى نفس الفترة تقريبا لجأ تجماعات من المسلمين الى ساحل الصومال الشمالى وأقامت فى بعض مدنهم وخاصة فى زيلع والتى يقول عنها المؤرخ ابن حوقل : ان المسلمين والمسيحيين كانوا يعيشون فيها جنبا الى جنب فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) .

وقد تأسست مدينة مقديشيو وبراره فى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى وعندما هاجرت جماعة من المسلمين السنيين من الاحساء على ساحل الخليج الفارسى بزعامة اخوة سبعة واستقرت على ساحل البنادر . وقد رفض الزيدية — وهم شيعة يخالفون مذهب هؤلاء السنيين — الخضوع لهم فهاجروا نحو الداخل حيث اندمجوا فى سكان البلاد ، وقد تتابعت هجرات المسلمين الى ساحل افريقيا الشرقى ومن أهمها هجرة الحسن بن على أحد أبناء سلاطين شيراز ، وكان شيعى المذهب على رأس جماعة من أصحابه فى أسطول مكون من سبع سفن ، ويقول بعض المؤرخين : ان رجال الحسن تجنبوا ساحل البنادر لوجود جماعة الاحساء السنية المذهب فيها ، ورست فى أجزاء متفرقة على ساحل كينيا وتنجانيقا — ومن الواضح أن جماعة الاحساء هم الذين نشروا الاسلام على ساحل صوماليا الشرقى ، والدليل على ذلك أن المذهب السائد فى هذه المنطقة الى اليوم هو مذهب أهل السنة والجماعة .

---

(١) تاريخ الصومال للاستاذ عبد الفتاح هندى .

الرأى الثانى يقول :

ان انتشار الاسلام فى الصومال بصورة واسعة ومنظمة انما حدث فى القرن الأول الهجرى أيام عبد الملك بن مروان أحد خلفاء الدولة الأموية حيث توجهت جيوشه الى هذه المنطقة من الشاطىء الأفريقى بقيادة الأمير موسى من بنى جشعم حيث دعا الى الاسلام وعلمهم قراءة القرآن فدخلوا فى دين الله أفواجا بدون حرب ولا قتال ، وأقاموا من بعده مبشرين بالاسلام ينشرون دعوتهم فى كل مكان ، وسكان البلاد يفتحون للاسلام قلوبهم ويتغلغل الايمان فى قلوبهم .

الرأى الثالث يقول :

أن الصومال عرف الاسلام فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما خرج جعفر بن أبى طالب من مكة الى الحبشة هجرة من أذى المشركين ونشر الدعوة الى الاسلام ، لقد عبروا البحر الأحمر عن طريق باب المندب متجهين الى الحبشة ولعلهم أقاموا فى أرض الصومال أياما فى ذهابهم الى الحبشة وفى عودتهم منها ، وليس من المعقول أن يمر عرب مسلمون بأرض الصومال فى الذهاب والعودة دون أن يعرف أحدا من الصوماليين شيئا عن الاسلام ، مع أن العرب المهاجرين لم يأتوا الى هذه البقعة لتجارة أو سياحة ، ولكن قدموا ومعهم الدين الذين أوذوا بسببه ؛ وهو دين توحيد واخاء ومساواة فلا بد من انهم تحدثوا مع أهل الصومال عن هذا الدين وبذلك يكون الصومال قد عرف الاسلام منذ فجره الأول . ووصل اليه قبل أن يصل الى المدينة بنحو ثماني سنوات (١) . وانني أميل الى هذا الرأى ، بدليل أن الصوماليين من أشد الناس تحمسا للاسلام ونشر الدعوة الاسلامية وهم من قديم مسلمون مائة فى المائة وتعلقهم برسول الله أمر يفوق الوصف ، فبمجرد ذكر اسم رسول الله فى خطبة أو درس تجد المكان يرتج بالصلاة والسلام عليه ، ومن طريف ما قاله لى بعضهم عقب احدى العظات التى كنا نلقيها عليهم : أننا نفهم خمسين فى المائة مما تقوله باللغة العربية ومع ذلك قلوبنا تكاد تنخلع من أماكنها حينما نسمع سيرة رسول الله فكيف بنا اذا جودنا اللغة العربية وفهمنا ما تقوله مائة فى المائة ؟؟ ومن شدة تعلقهم بتعاليم الدين انك تجد أسماءهم كثيرا ما تكون باسم محمد أو أحمد أو أى اسم من أسمائه ، وكثيرا ما تكون عبد الله أو عبد الرحمن ، وأسماء نسائهم المشهورة حواء ومريم وخديجة وعائشة وفاطمة وحليمة وزينب ورقية وهكذا كلها أسماء لآل بيت الرسول وأكثرهم يكون من ضمن اسمه شيخ محمد أو شيخ على ، واذا حج الى بيت الله الحرام يضاف اليه اسمه كلمة حاج وتكون جزءا من اسمه ويأتى ابنه فيكون اسمه مثلا محمد حاج على اذا كان والده اسمه حاج على . أو محمد شيخ على . .

---

(١) الصومال قديما وحديثا للاستاذ حمدى السيد سالم — الجزء الاول .

الفصل الثالث

عوامل انتشار الاسلام

١ ــ لماذا انتشر الاسلام :

بمجرد أن دخل الاسلام هذه البلاد ونوره انتشر فى كل جزء من أجزاء هذه الأرض ، ان الدعاة الى الاسلام فى هذه البلاد حملوا حضارة ذات مظاهر ثلاثة تعتبر من أقوى العوامل فى انتشار الاسلام .

أولا : طابع الحضارة العربية الاسلامية من حرية العقيدة وحرية الفكر .

ثانيا : تعاليم الدين الصالحة لكل زمان ومكان .

ثالثا : القدوة الطيبة لحملة الدعوة . والأسلوب الهادىء فى نشرها امتثالا لقول الله تعالى (**أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن**) ..

ان الاسلام يحمل فى مبادئه سر انتشاره فهو دين يكرم الانسان ، كرامة بالخلق وكرامة بالعلم وكرامة بالاستخلاف فى هذه الأرض ((**واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة**)) وكرامة بالمساواة بين الناس جميعا ، يؤكدها قول الله تعالى : (**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير**) .

كرامة تتساقط دونها حواجز اللون والعنصرية فترى بلال بن أبى رباح الحبشى وصهيب بن سنان وسلمان الفارسى يزينون مجلس رسول الله والأول يعود بأصله الى شرق أفريقيا والثانى الى اليمن وعاش شطرا من حياته فى أرض الروم حتى عرف باسم صهيب الرومى ، والثالث من فارس ، ويقول فيهم الرسول (١) (أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبش) ..

بلال كان مؤذنا للرسول فى الحضر والسفر وما تخلف عنه فى غزوة من الغزوات ، كان يؤذن فى المسجد النبوى بالمدينة ، وصوته أول صوت ارتفع بالأذان فوق الكعبة عام الفتح ويدعوه عمر بن الخطاب الى الأذان فى بيت المقدس عندما حرره المسلمون فيكون أول صوت يرتفع بالتكبير ويكون بذلك قد جمع بين المساجد الثلاثة فى الآذان ــ لقد وجد الصوماليون فى الاسلام اليسر والسماحة فهو لا يشق على أحد ، وتكاليفه ميسورة لكل انسان .

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣ عن أنس رضى الله عنه .

اذا حان وقت الصلاة توضأ المسلم واتجه الى القبلة ووقف على الأرض فى أى مكان وأدى صلاته ، واذا لم يجد الماء يتيمم بالتراب الطاهر ، قال رسول الله (جعلت لى الأرض مسجدا وتربتها طهورا) والقرآن الكريم يقرر هذا اليسر فى قوله تعالى : **(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)** وفى قوله : **(وما جعل عليكم فى الدين من حرج)** ويقرر الاسلام الحرية فى جميع مجالاتها : الحرية الشخصية وحرية العقيدة وحرية الرأى ، ويؤكد الحفاظ على الأسرة فهى أساس المجتمع وقوامها الدين والأخلاق ، ويحترم الملكية الخاصة التى لا تضر بالغير ، ويؤكد قيمة العمل كوسيلة للحياة الكريمة . ويقرر المبادىء الأخلاقية الفاضلة ويحث على العلم والسعى فى الأرض والنظر فى ملكوت السموات والأرض وصولا الى تأكيد وحدة الخالق سبحانه وتعالى وبهذا كله عم الاسلام بلاد الصومال منذ عصره الأول وكان لانتشاره بهذه السرعة أكبر الأثر فى تعمقه فى القلوب ، وفى أقل من لمح البصر ، اختفت كل مظاهر العبادات الأخرى ليحل محلها الاسلام . منذ ذلك التاريخ البعيد حتى الآن ونجد أسماء بعض مدنهم الموجودة الى الآن تبين مطاردتهم للكفار لتكون البلد كلها اسلامية مائة فى المائة فمدينة جالكميو بالصومالية معناها هزيمة الكفار فكلمة **جال** أى الكفار **وكميو** هزيمة أو طرد .

٢ — أهم المراكز الاسلامية :

وعلى ذكر المدن نذكر اسم العاصمة وهى **مقديشيو** وقد ازدهرت كمركز تجارى اسلامى وكانت مقصد المهاجرين المسلمين من جنوب بلاد العرب كاليمن وحضر موت ومن فارس أيضا وبلغت أوج ازدهارها فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد ، وقد عثر البرتغاليون على وثيقة عربية فى مدينة كيلره عام ٩١٠ هـ — ١٥٠٥ وأمكن منها معرفة بعض الأخبار الهامة عن مدينة مقديشيو فى القرون الأولى للهجرة ، منها أخبار البعثات العربية الاسلامية التى قدمت من مدينة الاحساء على الخليج العربى على ثلاث سفن بقيادة سبعة أخوة وأسسوا مدينتى مقديشيو وبراره وتذكر الوثيقة العربية أن مؤسسى مدينة مقديشيو قد أقاموا عليها حكما ثوريا باثنى عشر رئيسا من ذرية اثنى عشر أخا وفى عهدهم امتد نفوذها على طول ساحل بنادر وذكرت الوثيقة كذلك أن سكان مقديشيو أول من وصلوا الى بلاد سوناله فى موزمبيق ، وحملوا اليها الاسلام (١) وكانت أكبر الهجرات التى وصلت الى مقديشيو فى عام ١٤٩ هجرية وكانت مكونة من ٢١ قبيلة ومن أكبرها قبائل الشاشبيين ثم آل الأهول من حضرموت .

وفى القرون الأولى للهجرة لم يكن لمقديشيو سلطان أو ملك ، وانما كان لكل طائفة أن تخضع لشيخها الذى يتولى أمرها . ويتولى اكرام الغرباء .

وباتساع المدينة حدث ترابط بين السكان العرب والصوماليين وتكون ما يشبه الاتحاد الفيدرالى على صورة مجلس من الاشراف وأعيان القبائل الصومالية للنظر فى أمور البلاد ، وقد استمر هذا النظام الفيدرالى نحوا من ٣٠٠ عام حتى انتخب أبو بكر فخر الدين حاكما على البلاد ولقب بلقب السلطان واستمر سبعة عشر عاما حتى توفى فى عام ١١١٧ ميلادية .

---

(١) الصومال قديما وحديثا للاستاذ أحمد السيد سالم .

وكلمة مقديشيو اختلفوا في تفسيرها ، فمن قائل : أنها مكونة من كلمتين عربية وفارسية وهما : مقعد وشاه اشارة الى المكان المفضل الذى اتخذه شاه الحاكم الفارسى مقرا لحكمه ولما كثر استعمالها حذفت العين من كلمة مقعد فصارت مقعد شاه ثم حرفت الألف الى الواو فصارت مقدشود(١) ومنهم من يقول : ان اسم مقدشوه اشارة الى الموضع الذى تجمع فيه الأغنام لبيع . وقد زار الرحالة ابن بطوطه مقديشيو حوالى سنة ١٣٣١ ووصفها وقال عن سلطانها فى رحلته الموسومة : تحفة النظار فى غرائب الأبصار أن اسمه أبو بكر بن عمر وانه كان يلقب بالشيخ ، ووصفها وصفا دقيقا ووصف طبائع أهلها وحسن استقبالهم للضيوف واكرامهم لهم ، وتأثرهم بالتقاليد الاسلامية . ويوجد فى مقديشيو حتى الآن مسجد اسمه مسجد فخر الدين وهو يحتوى على مخطوطات تشير الى أنه بنى فى عام ١٢٦٩ م . ومن المراكز الاسلامية التى ساهمت فى نشر الاسلام مدينة براوه التى أسسها العرب مع مقديشيو فى القرون الأولى للهجرة ، وهى تقع على ساحل المحيط الهندى ، ووفد اليها جماعة من قبيلة حاتم الطائى وكان ذلك فى عام ٩٠٠ هجرية وعمرت المدينة وأسست مساجد للعبادة ، وبدأ العمل فى نشر الدعوة فى المناطق المجاورة على نطاق واسع ، وكان طلاب العلم يفدون اليها للتعليم ثم ينطلقون لنشر الاسلام .. ومن المراكز الاسلامية مدينة مركة . وهى تقع على المحيط الهندى على الطريق البحرى بين زنجبار وبلاد العرب ، وقد ذكرها الجغرافى العربى ياقوت الحموى ، وقد حققت هذه المدينة مكاسب كثيرة للاسلام فى شرق أفريقيا ، بالاضافة الى مساهمتها فى نشر الدعوة على طول الساحل الصومالى وفى الأقاليم الداخلية .

ومن المدن مدينة هرر وقد دخلها الاسلام فى القرون الأولى للهجرة ، وظهرت هرر فى القرن الثالث عشر الميلادى كأقوى مركز اسلامى فى شرق أفريقيا ومركز للفقه والتعاليم الاسلامية فى الصومال وخارجه وقد امتد نشاطها فى الدعوة خارج حدود الصومال الى ما يبلغ نحوا من ٦٥٪ من مساحة الحبشة كلها ، وقد قدمت هرر أبطالا صوماليين مسلمين مثل البطل احمد جرى الصومالى وأدوا دورا خالدا فى محاربة الاستعمار وبها مؤلفات ومخطوطات نادرة وعرفت بأنها المنارة الاسلامية للصومال وجيرانها من دول شرق أفريقيا ، وفى القرن السادس عشر ازدهرت زيلع ودخلت مع الحبشة فى صراع عنيف وقد تمكن اميرها أحمد بن ابراهيم الغازى الشهير بأحمد جرى بقواته الصومالية الباسلة عن غزو ثلاثة أرباع الحبشة ولولا تحالف الاستعمار البرتغالى مع الأحباش لبقيت الحبشة بلدا اسلاميا ، الا أن هذا التحالف أودى بحياة ذلك البطل المجاهد والقضاء على حركته . وكان من أثر الغزو البرتغالى وتحالفه مع الأعداء أن هاجر كثير من أهل البلاد المسلمين الى مختلف الجهات فى افريقيا وعن طريق هؤلاء مع التجار العرب انتشر الاسلام وعم نوره كثيرا من مناطق أفريقيا وامتد فى صفوف كثير من القبائل الوثنية وقد أثبت الصوماليون قوتهم وصمودهم ووجدوا المجال فسيحا لمزيد من الانتشار لمزاولة التجارة ونقل الحضارة الاسلامية وتحويل القبائل التى كانت لا تزال وثنية الى دين الاسلام .

---

(١) بغية الآمال فى تاريخ الصومال للشريف عيدروس ص ٣٢ .

الفصل الثالث
الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام

١ — أثر الطرق الصوفية :

حينما يذكر انتشار الاسلام فى هذه المنطقة من افريقيا تذكر الطـرق الصوفية فلقد أدت — ولا تزال تؤدى حتى الآن — دورا رائعا فى نشر الاسلام وفى الحفاظ على قيمه ومبادئه وفى التصدى للمبشرين وللمستعمرين . انهم رهبان الليل وفرسان النهار ، فهم يتجمعون فى حلقات الذكر يرفعـون به أصواتهم ويجأرون الى الله بالدعوات . وينشدون القصائد فى مدح رسول الله حتى اذا ما جد الجد ونادى منادى الجهاد سارعوا بدافع من عقيدتهم الى حمل أسلحتهم وتقدموا صفوف المقاتلين واعتبروا ذلك جهاداً فى سبيل الله . ومن شدة تمسكهم بقيم دينهم تجدهم يسمون الأجانب غير المسلمين نصارى ، أما كلمة يهودى عندهم فهى من أخس الكلمات وابشعها لديهم ولا يحبون سماعها واذا ما أراد واحد من أهل البلاد أن يسب آخر بلفظ بالغ الايذاء قال له يا يهودى ، وحينئذ تراق الدماء دفاعا عن الكرامة . يذكر بالفخر موقف رجال الطرق الصوفية وعلماء الدين فى أيام استقلال الصومال عام ١٩٦٠ حينما وصل الى مسامعهم وفدا من اسرائيل سيحضر الى الصومال للتهنئة بعيد الاستقلال وقامت المظاهرات من المساجد وشاهدت ذلك بنفسى وتعاهدوا على القتال حتى الموت ولا يدخل اسرائيلى أرض هذه البلاد المؤمنة ، وقد كان ، ولم يحضر اسرائيلى واحد ، وبفضل جهود العلماء والطرق الصوفية والوعى الاسلامى العميق تعتبر الصومال من الدول الافريقية القليلة التى لم تعترف باسرائيل ، ولم تتعامل معها لا مباشرة ولا بالواسطة ولا يوجد بها يهودى واحد . ولقد كان لرجال الطرق الصوفية وللعلماء مواقف خالدة أيام العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ فقد اعتبروا أن العدوان واقع عليهم وكونوا لجانا لجمع التبرعات من أنفسهم وعاشوا بقلوبهم مع مصر ، وكذلك كان موقفهم فى عدوان يونيو ١٩٦٧ .

وللصوفيين طرائف يذكرونها اذا أرادوا تنفير الجماهير من فكرة معينة فمثلا يسمون اللاتينية اللادينية — ويسمون المبشرين : مغوين . ويسمون الاستعمار بأنه استخراب وهكذا .

٢ — أشهر الطرق الصوفيـــة :

الصوماليون يتمسكون بعقيدتهم الاسلامية ، ويقدسون كتاب الله ولغة القرآن ، وينشئون ، أبناءهم على معرفة العلوم القرآنية وشريعة الاسلام ، وقد عبروا عن تعاونهم الأخوى بطرق شتى ، حيث يعتبر التعاون الأخوى

فى الاسلام من العناصر الأساسية فى هذه الدعوة ، هذا التعاون الأخوى هو المحور الأساسى فى عقيدة المتصوفين التى تنتشر فى كافة أنحاء الوطن الصومالى الكبير ، والطرق الدينية من أهم الظواهر الاسلامية فى الصومال وهدفها هو التقدم المادى والمعنوى ومساعدة الضعفاء ونشر العلم والدين ، وقد ذكر أركانها الشريف العيدروس فى كتابه (بغية الآمال فى تاريخ الصومال) (١) على النحو الآتى : أسس الطرق الصوفية ستة هى التوبة والعزلة والزهد والتقوى والقناعة والتسليم وأحكامها ستة هى : العلم والحلم والصبر والرضا والاخلاص والأخلاق الحسنة .

وغاياتها ستة : هى المعرفة واليقين ، والسخاء ، والصدق ، والشكر والفكر . وواجباتها ستة : ذكر الله وترك الشهوات ، وترك الدنيا واتباع الدين ، والاحسان الى المخلوقات وفعل الخيرات .

ووظائف أهل الطرق ودرجاتهم ست هى : الخلفاء ، والرؤساء ، والشادون ، والنقباء ، والمنشدون ، الخدام . وقد ساهمت الطرق فى انشاء المراكز الدينية التى تدرس فيها أصول الدين ولا تزال هذه الطرق حتى اليوم تتمتع بمكانة كبيرة ونفوذ عظيم لدى الصوماليين . ومن أهم الطرق الصوفية ما يأتى :

أولا : القادرية : يقول صاحب كتاب « مسالك الأبصار » الذى جمع حقائق عن طريق المتصوفة فى شرق أفريقيا (١٣٣٢ — ١٣٧٨ م) ان القادرية هى أولى طرق المتصوفة جاء بها الى البلاد مهاجرون من اليمن وحضرموت — وانتشرت فى مصوع وزيلع ومقديشوه حتى وطدت أقدامها فى المدن الساحلية عامة ، والذى جاء بالمتصوفة الى هرر رجل من الاشراف يدعى عبد الله العيدروس الذى مات فى عدن سنة ١٥٠٣ م والطريقة القادرية مؤسسها السيد عبد القادر الجيلانى المتوفى فى بغداد عام ١١٦٦ ميلادية والراية التى تتميز بها الطريقة لونها أخضر ، وهى العلم الذى يحمل فى مقدمة الجيش أوقات الحروب ، وعليه قد كتب « لا اله الا الله القوى المتين . محمد رسول الله تاج المسلمين ، السيد عبد القادر الجيلانى فى تاج المتحنفين » وقد انتشر أتباعه فى بلاد المغرب وغرب أفريقيا بصفة خاصة ، ثم انحدر مريدوه الى السودان الغربى ثم وصلت الطريقة الى الصومال على يد اليمنيين والحضارمة الذين استقروا فى مقديشيو وزيلع وغيرها من المناطق الساحلية ، وينتشر أصحاب هذه الطريقة ومريدوهم فيما بين هرجيه الى هضبة الحبشة غربا ، ومن شيوخها البارزين المرحوم الشيخ عثمان نور فى الاقليم الشمالى ولقد كان سياسيا ماهرا ومتدينا عفيفا وله سلطة قوية على قلوب أتباعه وكان دائما يحثهم على تعليم أبنائهم لأن التعليم هو الوسيلة للنهوض بالبلد ، ومحاربة الاستعمار والمبشرين ، ومنهم أيضا الشيخ عبد الله آدم صاحب الكلمة المسموعة والآمر المطاع ، وله فضل كبير فى حث أتباعه على تعليم أبنائهم أصول الفقه والنحو ، ليتفقهوا فى دينهم ، ويحافظوا عليه ويقوموا بنشره فى سائر الجهات (٢) ، وتغلغلت

---

(١) صفحة ٢١٦ .

(٢) الصومال قديما وحديثا للاستاذ حمدى السيد سالم .

هذه الطريقة فى داخل الصومال وبين أهل البادية وزاد نفوذها فى عام ١٨١٩ ميلادية عندما أسس الشيخ ابراهيم حسن جبرو مركزا لها عند بلدة تقع على نهر جوبا . اسمها برديوه ، وفى هذه المنطقة تأسس أول مركز من مراكز استيطان الجماعات الصوفية لزراعة الأرض واستخراج خيراتها ولذلك يطلق الصوماليون عليها « جمامة أو شمامة » نظرا لقدمها وبدء هذا النظام فيها . وأدخل هذه الطريقة فى منطقة جوبا العليا الشيخ أويس محمد محيى الدين القادرى البراوى وأقام مسجداً فى بيولى عام ١٩٠٩ وقد جمع حوله مئات الألوف من الصوماليين الذين وجدوا فيه الايمان الصادق والاخلاص والصلاح والتقوى ، وتوفى ودفن فى بيولى ويقام فى كل عام احتفال كبير بمناسبة ذكراه يقام حول ضريحه ويستمر ثلاثة أيام ويشهد هذا الاحتفال مندوب من الحكومة الصومالية ومع أن بيولى تقع فى وسط البادية وبعيدة عن العاصمة ، وفى واد غير ذى زرع ، والطريق اليها طويل وشاق الا أنك ترى فى أيام زيارته الوفود تقدم الى هذا المكان من العاصمة ومن جميع جهات الصومال والجميع ينشدون الأناشيد الدينية ، وقد قمت فى عام ١٩٦٢ بزيارة هذا المكان أيام الاحتفالات مع بعض الأصدقاء الصوماليين ومن بينهم بعض كبار المسئولين فشاهدت أمرا عجبا : عشرات الألوف يتجمعون فى مكان واحد ، يقضون نهارهم فى قراءة القرآن وانشاد الأناشيد ، وفى الليل تقام حلقات الأذكار يذكر فيها اسم الله وصفاته والصلاة على رسول الله وذكر مناقب الشيخ أويس ويخيل اليك أن الكون كله يرتج من أصوات الذكر ، وان صدى الأصوات تتجاوب به السموات .

ورأيت حلقات قراءة القرآن فيها ، وصورتها كالآتى : تعقد حلقة واسعة يجلس فيها أكثر من مائتين من حفاظ القرآن وأكثرهم من أبناء البادية الذين لم يدخلوا مدرسة ولم يجلسوا الى معلم سوى محفظ القرآن ، وتبدأ التلاوة بواحد من الحلقة يقرأ الآية الأولى من سورة البقرة ، والذى يليه يقرأ الآية الثانية والذى يليه يقرأ الآية الثالثة وهكذا كل واحد يقرأ الاية التى يصل دوره اليها ويستمرون هكذا حتى يختموا القرآن حفظا ، ولقد دخلت احدى هذه الحلقات وشاركتهم هذه القراءة ، ولم ألاحظ لحنا واحدا من أى واحد منهم ، بل ان القراءة مجودة تجويدا كاملا ، ولما قرب الدور منى أسر صديقى الذى رافقنى فى هذه الرحلة فى أذنى وقال مداعبا : تنبه يا شيخ ، خشية أن تنسى أو تخطىء ، وأنتم يا مشايخ الأزهر مثلنا الأعلى فى حفظ القرآن وتجويده .. وعشنا معهم ثلاثة أيام ليلها كنهارها عبادة وذكرا وقراءة للقرآن فى بساطة وأخوة ، نأكل لحم الابل ، ونشرب اللبن ولا شىء سوى ذلك ، ولا ننام من الليل الا دقائق ، وفى آخر يوم يقام احتفال رسمى يتحدث فيه مندوب الحكومة ، وأحد مشايخ الطرق الصوفية ، كما تحدثت فيه فى السنة التى زرت فيها داعيا الى الحفاظ على كتاب الله فهو الرباط الذى يربط بين المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها . وعدنا الى العاصمة ، وسجلت هذه الزيارة فى سلسلة مقالات فى الجريدة الرسمية عندهم وتسمى « بريد الصومال » وجعلت عنوانها الشعار الذى كانت الوفود تنادى به وهم متجهون الى الزيارة (هيا المدد يا نور الله) ولقد علمت بعد ذلك أن الأعداد التى نشرت فيها هذه المقالات قد ملأت سائر جهات الصومال واحتفظوا بها لأنها سجلت ذكرى عزيزة عليهم وهى ذكرى زيارة الشيخ أويس فى بيولى ، وبعد أن عدت تجمع شيوخ الطريقة القادرية

وأعلنوا فى احتفال كبير أختيارى « خليفة خلفاء الطريقة القادرية » وسلمونى فى هذا الحفل علم الطريقة الأخضر ، واجازة هذا الاختيار فى سلسلة طويلة مكتوبة بخط عربى مزخرف .

وقد أخذ عن الشيخ أويس الطريقة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشاشى الشهير بالشيخ صوفى المتوفى سنة ١٩١٩ م وقد أسس زاوية فى مقديشيو حيث يوجد ضريحه ويقام فى ذكراه كل عام احتفال كبير يحضره مندوب عن الحكومة ، وكان الشيخ صوفى يسكن فى حياته فى حى حمراوين بمقديشيو وكان عالما جليلا يدرس لتلاميذه العلوم الاسلامية والنحو والفقه والتوحيد ، وكان مواظبا على عبادة ربه ، وقد زهد فى الدنيا ابتغاء مرضاة الله ، وكان يعيش عيشة بسيطة لا متاع فيها ، وظل فى زهده خمسة عشر عاما الى أن لقى ربه ، وكان دائما يقول لأتباعه ان الدنيا ليست دار غرار وعلى الانسان أن يقدم بين يديه عملا صالحا ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، وكان من صفاته أنه لا يخرج من بيته الا يوم الجمعة لتأدية الفريضة وقد لقب بالشيخ صوفى لأنه كان يلبس لباس العلماء والأولياء أيام حياته ، وكان شافعى المذهب ، وقد صرف كل ما يملكه فى الدنيا فى سبيل مواساة الفقراء والمساكين ومعاونة الطلاب الذين لا يجدون وسيلة للعيش وفى صلة الأقارب والأرحام ، وقد أدى فريضة الحج وكان متحدثا لبقا باللسان العربى الفصيح واللغة السواحلية واللغة الصومالية وكان ملما بتاريخ الاسلام وأحوال المدن الاسلامية فى زمانه ، وكان يملك النفوس بعظاته وارشاده ، ويستولى على قلوب مريديه لبلاغته واخلاصه فى دعوته ، ومن تلاميذ الشيخ صوفى صديقنا الشيخ محيى الدين بن معلم مكرم وغيره من المشايخ وقد انتشرت هذه الطريقة فى الاقليم الشمالى وبخاصة مديرية مجرتينيا ومنهم الشيخ عبد الله بن يوسف القلنقولى .

ثانيا : الطريقة الأحمدية ويقال لها الأدريسية أسسها « سيد أحمد ابن ادريس الفاسى » المتوفى فى بلاد عسير بالسعودية سنة ١٨٣٧ وله مؤلف عنوانه : « كنوز الجواهر النورانية فى قواعد الطريقة الشاذلية » ..

وقد أدخل هذه الطريقة الى شرق أفريقيا الشيخ « على ميه درجيا » الصومالى وقد جعل وقته كله لنشرها فى الصومال وقد ذاعت هذه الطريقة، لما كان يتصف به هذا الشيخ من صلاح وتقوى وزهد واخلاص والتف حوله عدد كبير من المريدين وبخاصة من سكان وادى شبيللى الأوسط وتوفى فى مدينة مركة سنة ١٩١٧ ودفن فيها وأتباع هذه الطريقة يتركزون فى مقديشيو وبورهكيه .

ثالثا : الطريقة الصالحية : وتنسب الى محمد بن صالح ــ وهو ابن أخ ابراهيم الرشيد أحد تلاميذ « أحمد بن ادريس » مؤسس الطريقة الاحمدية ، وقد توفى محمد ابن صالح عام ١٩١٩ وقام بنشر طريقته الشيخ محمد جوليد أحد تلاميذه وكان الشيخ محمد بن صالح قد عينه خليفة على الطريقة فى الصومال ، وقد أسس الشيخ جوليد زاوية ومركز استيطان للطريقة فى منطقة تقع ما بين بلدتى جوهر وبلعد على نهر شبيللى ، ومن أشهر مشايخ هذه الطريقة الشيخ « على نيروبى » الذى أسس مركزا لها فى

جنوب بلدة برديرة ، وأصحاب الطريقة الصالحية فى الاقليم الشمالى من الجمهورية الصومالية لهم سياسة وحكمة وتعصب شديد لعقيدتهم الدينية ، ومن شيوخها الكبار الشيخ عثمان عمر ، وله مكانة عظمى فىنفوس مريديه، والشيخ الحاج محمود عثمان ، ومن أبرز اتباع هذه الطريقة رائد القومية الصومالية « محمد عبد الله حسن » مهدى الصومال . الذى أعلن الثورة فى وجه الاستعمار فى الربع الأول من القرن العشرين وسنتحدث عن كفاحه ضد الاستعمار بعد قليل ، والسيد محمد يوسف الذى ثار ضد الحبشة ودخل معها معارك ضارية عام ١٩١٧ م وتنتشر الطريقة الصالحية بين سكان المنطقة الواقعة بين مديرية مجريتنيا وبين الصومال الشمالى كما تنتشر فى الأوجادين ، وفى بعض المناطق من جنوب الصومال .

رابعا : **الطريقة الرفاعية** : وأتباعها غير كثيرين فى الصومال ، وأغلبهم من العرب المستوطنين ومن أشهر شيوخها الشريف العيدروس الناضرى العلوى من العرب القدامى فى الاقليم الجنوبى ، وهو أول من أقام احتفالا كبيرا بذكرى المولد النبوى الشريف .

خامسا : الدندرية : وتنسبب هذه الطريقة الى والد الشيخ أبى العباس الدندرى من أهل دندرة بصعيد مصر وله اتباع فى الاقليم الشمالى ما بين بربرة وأدوين وشيخ وهرجيسه ، واذا ما ذهب اليهم نائب الشيخ استقبل استقبالا لا مثيل له فى الحفاوة والتكريم .

سادسا : الميرغنية : وتسمى بالختمية ، وقد أدخلها الى الصومال الشيخ رمضان المصوعى ، ومن بعده جاء الشيخ نور حسين المصوعى .

هذه الطرق الست ، تكلمنا عنها سريعا لنتبين أثرها فى الحفاظ على العقيدة الدينية وعلى كتاب الله وسنة رسوله ، وفى الارتباط الوثيق بين هذا الشعب المسلم المتدين وسائر الشعوب الاسلامية — وبخاصة الشعوب العربية ، ويلاحظ أن جميع أتباع هذه الطرق ملتزمون كل الالتزام بالتمسك بأهداب الدين ، وبالحفاظ على شعائره فلا تجد واحدا منهم يفرط فى صلاة أو صوم أو زكاة ، ومن استطاع الحج مهما تكن المشقات سارع الى أداء هذه الفريضة ، وكل منهم يحفظ قدرا يسيرا أو كثيرا من القرآن ، ويعرف أحكام الفقه الشافعى كعالم من علماء الأزهر .

ويلاحظ أن كل شيخ من مشايخ هذه الطرق كان اذا نزل مكانا من الأماكن أول ما يفعله هو اقامة المسجد ، الذى يجمع المسلمين جميعا . وفى ظلاله يؤدون الصلوات ويقيمون حلقات الذكر ، ويتلون الأدعية والأوردة الخاصة بكل طريقة منها ، ويسمعون دروس العلم من العلماء وهذه الطرق الكثيرة بالأعداد الضخمة التى تتبعها تدل على تغلغل التصوف فى نفوس الصوماليين وعلى حسن اعتقادهم بالله والصالحين من أولياء الله والتوسل بهم الى الله . كما أن للطرق الصوفية ، أثرا كبيرا فى محاربة الرذائل ومقاومة التبشير والاستعمار . ومن الجميل أن ترى فى سائر أنحاء الصومال من المدن والقرى المساجد منتشرة فى كل مكان . والمآذن مرتفعة ، ينبعث من فوقها : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، كل يوم خمس مرات ، وهى فى شموخها الى السماء كالأصابع الممتدة التى تعلن كلمة التوحيد .. هذه الظاهرة تعتبر بلا شك من مفاخر الطرق الصوفية بالصومال .

٣ — أثر الطرق الصوفية فى مقاومة التبشير ومحاربة الاستعمار :

التبشير يدخل الى مثل هذه البلاد بأسلوب متنع ، فهو يذهب مختفيا وراء مستوصف يقام لعلاج المرضى ، أو مدرسة للتعليم ، أو مزرعة يعمل فيها فلاحون ، أو مصنع من المصانع ، وعن هذه الطرق ينشر دعوته برفق ولين ، وكثيرا ما يستخدم وسائل الاغراء المادية ، ولقد تيقظت الطرق الصوفية لخطر هؤلاء المبشرين وأسموهم المغوين ، أى الذين يغوون الناس وليسوا مبشرين لهم ، وقام شيوخهم يناهضون الحركة التبشيرية المسيحية باعتبار أنها مدفوعة من الاستعمار الذى لا يريد لأهل هذه البلاد خيرا ويحذرون المسلمين من خطرها ويدعون الى الجهاد المقدس باسم الاسلام وينشرون تعاليم هذا الدين الحنيف . ولهذا أقاموا المدارس والكتاتيب والمساجد لتحفيظ القرآن وتفسير آياته . وقد حببوا الى مريديهم التعاون والاتحاد والتمسك بمكارم الأخلاق كما حببوا اليهم البذل والتضحية بالنفس ، والمال فى سبيل الدين والعقيدة .

وان أوامرهم لواجبة التنفيذ لدى مريديهم ، ومن اصدق الأمثلة على ذلك سيرة الامام أحمد جرى « المجاهد الصومالى » حيث كانت حياته صورة صادقة للمتصوف الذى قاد حربا ضارية للقضاء على الحروب الصليبية التى شنتها الحبشة والبرتغال ضد الصومال الاسلامية فى القرن السادس عشر ، وكذلك أمامنا سيرة البطل الثائر « السيد محمد عبد الله حسن » ومواقفه فى مناهضة التبشير المسيحى والاستعمار ، ويسجل التاريخ مواقف خالدة لهذا الشعب المؤمن ، وأثر التصوف فى الحفاظ على عقيدته ، ومن أمثلة ذلك ما حدث عام ١٨٩٧ م حينما نزلت الى البلاد جماعة من المبشرين ، وأقاموا مدرسة فى بربرة تحت اشراف مبشر مسيحى وأخرى فى قرية ديمولى وعليها مبشر مسيحى كذلك . وقد حاول هذان المبشران تحت حماية الاستعمار البريطانى أن يحولا بعض الصوماليين عن الاسلام عن طريق أعطاء الهدايا المالية والملابس والطعام والعلاج .

واستطاعوا أن يجمعوا خمسين طفلا من الأيتام واللقطاء وحملوهم على اعتناق المسيحية وأدرك الصوفيون هذا الخطر من أعمال المبشرين المدفوعين من الاستعمار ، فأعلنوا الجهاد المقدس ضد جميع المبشرين ومن معهم من رجال الحامية البريطانية . وقد تمكن الصوماليون من هدم مدرسة مبشر ديمولى الذى هرب الى زميله فى مدرسة بربره ، حيث أطلق مبشر مدرسة بربره رصاصة على مؤذن المسجد القريب من منزله بحجة أنه يؤذن فى الفجر ويزعجه من نومه ، وان كانت الرصاصة لم تصب المؤذن بالقتل الا أنها كانت الشرارة الأولى فى الكفاح الشعبى المقدس ، بقيادة محمد عبد الله حسن . مما اضطر الاستعمار الى أن يهرب المبشرين الى عدن تحت حراسة السفن البريطانية ، بل ان الحكومة البريطانية أصدرت مذكرة الى شعب الصومال أذاعتها السلطات الاستعمارية فى هرجيسا وهى تحتوى على ضرورة خروج المبشرين من أى جنس بصفة عامة من الصومال وعدم السماح لهم بعد ذلك بدخول البلاد وعدم السماح ببناء كنيسة أو أديرة فى البلاد كلها وعدم فتح محلات للخمور أو السماح بتعاطيها ، وقد استمر هذا التعهد سائر المفعول حتى عام ١٩٥٠ حينما أنشئت كنيسة

صغيرة للضباط والجنود البريطانيين فى داخل المعسكر كما فتحت خمارة صغيرة فى هرجيسا للأجانب . وكان أهل الطرق الصوفية فى الجنوب متيقظين لخطر التبشير كذلك ولم يعرف الاقليم الجنوبى المبشرين الا حينما تعرضت البلاد للغزو الايطالى ، وكان المبشرون يجدون الأذى الشديد من الصوفيين والشعب الصومالى المسلم ، وفى خلال فترة الوصاية الايطالية على الصومال الجنوبى حرضت الادارة الايطالية بعض الارساليات للمسيحية على ايجاد مناطق للتبشير فى الجنوب وانشاء مدارس وملاجىء للأيتام واللقطاء الا أن الصوفيين كانوا لهذه الحركات دائما بالمرصاد فأحبطوا نشاطهم .

وقد ظهر صراع جديد بين المبشرين وبين الشعب الصومالى حينما ظهر التبشير المسيحى على يد المبشرين الأمريكيين الوافد مع النقطة الرابعة وشركات البحث عن البترول والخبراء ومكتب الدعاية الأمريكية وكانت البعثة الأولى برئاسة المبشر الأمريكى القسيس « ويلبرت لند » البروتستنتى ، والبعثة الثانية برياسة الأمريكى « مورد بكرويد » وبدأ نشاطها فى مقديشيو عن طريق تدريس اللغة الانجليزية ثم تشويه معتقدات الطلاب وأرادوا أن يمدا نشاطهما خارج العاصمة فى جوهر ومهداى الا أن الشعب الصومالى المسلم بقيادة زعمائه العلماء ورجال الطرق الصوفية قاوموا هذه الفكرة ، ولم يمكنوهم من نشر نشاطهم فى تلك البقاع بل قد حدث اعتداء من بعض المتحمسين الصوماليين على بعض هؤلاء المبشرين ، وقد حاول التبشير الأمريكى الاستعمارى أن يمد نشاطه فى داخل الصومال وخصوصا فى مناطق البحث عن البترول مما يدل على الصلة القوية بين التبشير وشركات البترول . وقاد الصوفيون معارك ضارية ضد الاستعمار الايطالى فى الجنوب والبريطانى فى الشمال ، باعتبارهم أعداء لهم فى الدين فضلا عن معاونتهم للمبشرين أعداء الاسلام .

وللصوفيين أثر كبير فى الحفاظ على اللغة العربية باعتبارها لغة الاسلام ولغة القرآن ولشيوخهم قصائد باللغة العربية يحفظها مريدوهم حفظا جيدا فلهم اذن أثران بارزان فى تاريخ الصومال ، مقاومة التبشير والحفاظ على اللغة العربية لغة القرآن . ومثال ذلك قصيدة الشيخ أويس وعنوانها : حادية الأنام الى قبر النبى عليه الصلاة والسلام ويقول فى مطلعها :

اذا ما شئت تيسير المراد فصل على رسولك خير هادى
وقل مستنجدا فى كل ناد صلاة الله ما نادى المنادى
على المختار مولانا الحماد
حبيب الله أفضل من ترقى وقبره فاق كرسيا ومرقى
وكل مواضع الخيرات صدقا يفوح المسك والريحان حقا
لقبر محمد نور الفؤاد

ويختتم قصديته بقوله :

ورحمتنا ونعمتنا وبشرى وعصمتنا بذى الدنيا وأخرى
وتسليم عليه يفك عسرا وخص الآل والأصحاب طرا
مع الاتباع ما نادى المنادى

ومن شعراء الصومال العظام الشيخ عبد الرحمن الزيلعى ، وله قصائد صوفية رائعة منها « سراج العقول والسرائر » فى التوسل بالشيخ عبد القادر ويقول فى مطلعها :

يا غوث أعظم قم لنا غوثا مدد   يا بان أشهب هب لنا خيرا أبد
يا محيى الدين أحينا يا معتمد   يا سيدى كن لى ظهيرا بالمدد
يا سيد السادات عبد القادر (١)

وللبطل المجاهد محمد عبد الله حسن قصائد حماسية تعد من الأدب البليغ كتبها باللغة الصومالية وبحروف عربية ، وهذه بعض أبيات له مع معناها بالعربية .

النصّ الصومالى	معناه بالعربية
١ — أفيكيل كفرك أرى ايلى نىء	لقد جذبتنى رائحة المستعمرين القذرة
٢ — أخبار فى طريق كومى أولح أقادى .	الى أفيكيل وما فعلوه بالمجاهدين الأحرار
٣ — الوف أبو الوف كوى اخوتى بىء .	بالله ذبحوا الوفا والوفا من العصبية والبنات ومن الابل والأغنام
٤ — أى أدون كيك صغى أرى أيوء جيليا .	كان هذا وا أسفاه بمساعدة بعض الخونة
٥ — اختبارك نمنكا كوك اجراد بجاجة .	الذين يساعدون المعتدين باختيارهم وليسوا مكرهين على ذلك
٦ — أن لجوء اكراهين كلجعل جفر ابراريه .	لابد من قتل الخونة مهما نطقوا بالشهادتين
٧ — الشهادات من جرن كداى أن سح من سوء .	لأن الاسلام برىء من الخونة العملاء

٤ — بطولات دينية وصوفية :

(أ) الامام أحمد جرى « ٢ »

هو الامام أحمد بن ابراهيم الملقب بالامام أحمد جرى أى الأعسر ولد فى مقاطعة هرر عام ٩٠٨ هجرية الموافق ١٥٠٠ م وقد تلقى مبادىء العلوم الاسلامية على يد شيوخ هرر وعلمائها ، ثم ارتحل فى صباه الى زيلع مع

---

(١) شاهدت هذه القصيدة مخطوطة وأنا بالصومال ، وللشيخ عبد الرحمن الشاش قصائد مخطوطة يقول من قصيدة عنوانها : (مرقاة الوصول — الى حضرة الرسول) :
ان دهاك الهم أو خطب جرى   قم ولذ بالمصطفى خير الورى
وفى مدينة براوه عثر على مخطوط عربى يشمل همزية البوصيرى مترجمة الى الشعر السواحلى وبالاضافة الى القصائد التى نظمت فى مدح الرسول توجد قصائد مخطوطة فى الرد على الكافرين اعداء الصوفية .

(٢) مراجعنا فى هذا التاريخ كتاب فتوح الحبشة « للمؤرخ العربى شهاب الدين عبد القادر الملقب عرب فقيه .

والدته وأخواله وفيها سمع الكثير عن أحوال المسلمين خارج وداخل الصومال ، ودرس كتب السيرة والتفسير وحفظ القرآن وكثيرا من أحاديث الرسول ، ثم عاد الى هرر التى كانت تعتبر مركزا هاما من مراكز الثقافة الاسلامية فدرس مختلف العلوم حتى صار شيخا عالما رغم حداثة سنه .
وقد نشأ على حب الحق والخير ، وعلى التمسك بتعاليم الاسلام . ورأى تسلط نصارى الحبشة على مسلمى الصومال وتدخلهم فى شئونهم فاتخذ لنفسه سياسة تقوم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وانصاف المظلومين واعلاء كلمة الدين ، والمحافظة على استقلال وطنه ، فدخل معارك طاحنة باسم الهلال كان له فيها النصر على الصليب . وسلاحه الأول الدعوة بالسلام والمحبة تحقيقا لقوله تعالى (لا اكراه فى الدين) وقد قال عنه المؤرخ الفرنسى « رينيه باسه » أن أشهر دور من ادوار التاريخ الأثيوبى التى بقيت أخبارها محفوظة فى أذهان الغربيين هو أحمد جرى الصومالى الذى كاد أن يسحق النصرانية الحبشية ويعيدها كبلاد النوبة الى الاسلام . ومع مواقفه الشجاعة فى قتال الأعداء كانت له مواقف رائعة فى توحيد الجبهة الداخلية للمسلمين ، ليواجهوا العدو صفا واحدا كالبنيان المرصوص ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف أرسل العلماء والفقهاء الى مختلف المناطق للدعوة الى الاسلام ، وتعليم الناس أصول الدين ، ودعاهم الى حماية دينهم والقيام بنشر دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام . وبعث الأمراء الى سائر الامارات الاسلامية يناشدهم الوحدة أمام العدو ، الذى يريد اذلال المسلمين ونهب خيراتهم ، وناشدهم الا يدفعوا أتاوات أو هدايا لملك الحبشة الذى يحاربهم ويريد أن يستعبدهم . وأبان لهم أن الوحدة الاسلامية أمر ضرورى للبقاء وللمحافظة على دينهم من أيدى أعدائهم المعتدين ، ومن أجل توحيد الجبهة الاسلامية قام الامام بعدة غزوات على التجمعات المسيحية المعادية والمقاطعات التى تقوم بغزو أراضى المسلمين وقد حدث فى عهد السلطان « عمر دين » أن تعرض المسلمون فى أرض الصومال لهجمات الأحباش بزعامة بطريق كبير منهم حيث ضرب قرى كثيرة ، وأمتدت أيدى جيوشه الى أرضهم بالسلب والنهب كما سبى أم أمير من أمراء المسلمين اسمه الأمير « أبو بكر فطين » .. فقام الامام أحمد يعبىء القوى المسلمة ، ويدعو الى توحيد الصف الاسلامى لمواجهة هذا العدوان ، وجمع جيشا مسلحا بسلاح الايمان مع ما استطاع اعداده من عتاد ، وحقق انتصارا رائعا على جيش العدو وأسر منه نحو خمسمائة أسير ، وعاد الامام الى هرر منصورا ، وكان عمره حينئذ واحدا وعشرين عاما (١) .. ولقد أعلن المساواة بين الجميع ، فلا فضل لعربى على صومالى الا بالعمل الصالح ، وحارب الفردية والروح القبلية ودعا المواطنين الى العمل الجاد المنتج لتدعيم الاقتصاد الوطنى وفتح المدارس وبنى المساجد ، وبعث لذلك الوفود الى مختلف المناطق للدعوة الى الله وذلك من أجل توحيد الجبهة الداخلية والوقوف صفا واحدا أمام الأعداء تحققا لقول الله تعالى : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » وحارب من أجل تحرير الأراضى الصومالية من نفوذ نصارى الأحباش ، حارب فى موقعة الدير وأسر نحو خمسمائة أسير من الأحباش وتوالت انتصاراته فى غزوات الفطجار

---

(١) بتصرف من « الصومال قديما وحديثا » للاستاذ حمدى السيد سالم جزء ٢ .

وتيجى وأنباريه ، وحرر امارة داوارو المسلمة من نفوذ النصارى ، كما اتجه الى امارات أوفات فى شمال الصومال وأعاد اليها الحكم الاسلامى ثم اتجه الى بلدة انطوكيـــة ودخلهـــا ســـالما وتابع ســـيره الى بلدة جنـدلة فحررها من الأحباش وبعد أن حرر الأراضى الصومالية من نفوذ النصارى الأحباش عاد الى مدينة هرر قاعدة غرب الصومال ومنارة الاســـلام فى الصومال ، ومنها كرر دعوة كافة القبائل الصومالية المسلمة الى الوحدة والترابط من أجل الوطن والدين وتجمعت القبائل معلنة تأييدها له مصممة على خوض حرب مقدسة بقيادته لنشر الاسلام ودفع عدوان الأعداء .. واشترى أسلحة من اليمن ، وجاءته مساعدات حربية ومواد تموينيـــة من اليمن كما جاءت أسلحة من مصر . وقد جمع جيشه المجهز بكل أدوات القتال — وخرج من هرر فى اتجاه الأراضى الحبشية لنشر الاسلام بين الوثنيين والكفار ، وقد حدث حينما عبر المسلمون نهرا اسمه نهر «سمومنا» أن تفرق عنه بعض جنده عندئذ وقف فى وجه الهاربين وصـــاح فيهم . « أين تفرون من الجنة ؟ وما هو الا أجل قد كتب » فقال له أحـــد أعوانه : « اضرب ضحيتك هنا ونحن نقاتل دونك » ، وقال له أحد القواد : « أبشر نتلك واقعة أحد » ، فضرب ضحيته واجتمع المسلمون حوله وثبتوا فى أماكنهم وأقبل الأحباش واقتربوا من جيش المسلمين الواقفين فى حـــر الشمس ، فالتجأ الامام أحمد الى الله وقال فى دعائه : « يا الله يا حى يا قيوم يا بديع السموات والأرض وياذا الجلال والاكرام ، ان هؤلاء أعداء نبيك وأعداء رسلك يأكلون رزقك ، ويعبدون سواك ، تظللهم ونحن المسلمين فى حر الشمس » .

وبدأت المعركة وانتصر المسلمون وولى الأحباش الأدبار — والمسلمون وراءهم يكبرون بصوت جهورى . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر والنصر للاســـــــلام .

وعادوا الى هرر لزرع الأرض واعداد قوات أكبر لمعارك كبرى ، وقد وصلتهم أسلحة ومواد تموينية من الجنوب العربى المسلم تبرع بها أهالى حضرموت واليمن وكان الشيوخ والمعلمون قد تكفلوا برعاية البلاد أثنـــاء جهاد العدو فى خارج الحدود .. ودارت بعد ذلك معارك كثيرة مع الأحباش انتصر فيها الامام أحمد ، انتصارا ساحقا ، وعاد مع جيشه ، الى هرر — حيث استقبلوا أكرم استقبال وابتهجت المدينة وأقيمت الأفراح وأتى المسلمون الصوماليون من كل مكان ليهنئوا الأبطال الصناديد المدافعين عن الوطن والدين . وزاد عدد المدارس والمساجد مما جعل هرر تتزعم الحركة التعليمية والدينية فى شرق أفريقيا بلا منازع وكثر الوافدون اليها من العلماء والأدباء والشيوخ وطلاب العلم ، وأصبح التعليم للجميع ، وتعلم التلاميذ الحساب والعلوم بجانب العلوم الدينية ، وأصبحت اللغة العربية لغة التعليم ، وقدم معلمون من الحجاز ومصر واليمن لنشر اللغة وتعليم الدين بين أبناء الأمة ، وظهرت المصاحف المصرية فى الأسواق بعدد السكان ، وبدأ تدريس التاريخ وأشهر الأحداث بجانب علوم الفقه والسيرة والتشريع مما جعل « هرر » بحق كعبة للمخطوطات والمدونات التى ليس لها مثيل فى شرق أفريقيا كلها .

وزاد الدخل وارتفع مستوى المعيشة فى سائر الجهات ، ويذكر المؤرخ العربى « عربى فقيه » فى كتابه « فتوح الحبشة » أنه لكثرة العملات الذهبية

والفضية فى يد الجنود والمسلمين عامة ، ارتفع سعر الحاجيات ، وأصبحت الكماليات ضروريات ، فوردت الصناعات المصرية والاسلامية وبخاصة التى يظهر فيها الفن الاسلامى . وقد ذكر المؤرخ المذكور مثلا لكثرة النقود يقول فيه « انه من كثرة النقود أصبح البغل الواحد يساوى أربعين أوقية من الذهب بعد أن كان ثمنه منذ عامين لا يصل الى ربع الأوقية الواحدة » ..
وبعد أن استقرت الأحوال فى أكثر من نصف بلاد الحبشة وبدأ المسلمون فى تنظيم أمور دولتهم فى هرر ، وارسال البعوث الى كافة الاقاليم الصومالية للدعوة الى الله وتحول كثير من النصارى الى دين الاسلام ، بلغ الامام أن الملك الحبشى توجه بقواته الى امارة « أوفات » المسلمة ناحية زيلع للقيام بثورة ضد الامام وجنده فأعد جيشا ضخما وحارب الأحباش حيث فروا الى خارج البلاد والتجأوا الى الغابات والأحراش للنجاة بأنفسهم ، وقد زحف جيش الامام أحمد مرة ثانية الى عاصمة الحبشة ، وقد تدخل البرتغاليون لمساعدة ملك الحبشة وحاصروا الامام أحمد وجيشه حصارا بحريا من نصارى البرتغال وحصارا بريا من نصارى الحبشة وأطلقوا عليه ألف طلقة نارية ذهبت فيها روحه الطاهرة الى ربها فى عام ١٥٥٣ بعد أن حارب الأحباش ثلاثة عشر عاما من ٩٣٧ — ٩٥٠ هجرية الموافق ١٥٤٠ — ١٥٥٣ م . وقد استطاع ابن اخته الأمير نور الدين الذى تولى حكم هرر والذى سماه الصوماليون صاحب الفتح الثانى أن يقتل ملك الحبشة سنة ١٥٥٦ م وأخذ بثأر خاله الامام المجاهد . وقد ذكر كتاب فتوح الحبشة ان الامام أحمد قام بحروبه فى الحبشة ثلاثة عشر عاما من ٩٣٧ الى ٩٥٠ هجرية الموافق ١٥٤٠ — ١٥٥٣ (١) . والجدير بالذكر أن هذه الحروب الطاحنة قد لعبت فيها المرأة الصومالية المسلمة أدوارا رائعة ، فكانت تخرج مع الجيوش وتقوم بعمليات الاسعاف للجنود المسلمين وقد قمن بأسر عدد كبير من الأحباش ..

(ب) السيد محمد عبد الله حسن

ولد فى بلدة (قوب قردوت) عام ١٢٧٣ هـ الموافق ١٨٥٦ م فى اقليم الأوجادين شمال غرب الصومال على الحدود الحبشية ، وهو من رجال البادية الأشداء وقد بدأ حفظ القرآن الكريم وهو فى سن الثامنة من عمره ثم درس اللغة العربية وعلوم الشريعة على شيوخ البلاد ، وقد اضطر بعد موت أبيه الى أن ينتقل مع أمه الى الاقليم الشمالى من الصومال حيث يعيش أخواله الا أنه كان كثير الحنين الى مسقط رأسه فى الأجادين فكان يعود كثيرا ويجلس الى شيوخه وآبائه الروحيين ، وقد بدأ يشتغل بتدريس ما تلقاه من العلوم لاخوانه الصوماليين فاشتهر بين المعلمين بسعة الاطلاع وغزارة العلوم والمعارف حتى لقب بالفقيه البارع ، لما يمتاز به من عمق التفكير وبراعة التعبير والاقناع .

وقد زار مقديشيو والتقى بطلاب العلم المنتشرين فى مساجدها ، ومكث معهم زمنا ، وفى حوالى الرابعة والثلاثين من عمره قصد الى مكة لأداء فريضة الحج ، وهناك التقى بمؤسس الطريقة الصالحية الشيخ صالح

---

(١) فتوح الحبشة لعرب فقيه .

السودانى الذى كان على صلة دائمة بنشاط وأخبار زعيم الثورة السودانية السيد محمد أحمد المهدى فتعارفا وتآخيا وأخذا يتتبعان ثورة العرابيين فى مصر ضد الظلم والاستعمار وثورة المهدى فى السودان وهناك فى مكة أخذ يفكر فيما كان يسمع من أخبار ثورة المهدى ضد الاستعمار وبدأ ينفعل بها ، ودخل منذ ذلك الحين فى دوامة ثورية عنيفة ويتساءل : لماذا يفرض المستعمر نفسه على بلادنا ؟ وماذا يريدون منا ؟ لابد من الثورة ولابد من التضحية .. وعاد الى الوطن فى حوالى عام ١٨٩٦ م ، وبدأ يهيىء نفسية الشعب للثورة باعلان رأى الدين فى كل ما يتصل بقضية بلاده من مسائل ، وكان يعبىء الجماهير فى مواقع تجمعاتهم وفى حلقات الذكر ويعبىء مشاعر تلاميذه ومريديه فى المساجد حيث كانوا يؤمنون بكل ما يقوله وكأنه أمر من السماء . وبذلك يكتمل عقد الحركات التحررية فى افريقيا وآسيا : الحركة الوهابية فى الحجاز ، والحركة السنوسية فى ليبيا ، والحركة المهدية فى السودان ،والحركة الصالحية فى الصومال ، والمراكز الصالحية فى الصومال. وقد تحدث الشيخ جامع عمر عيسى راوية التاريخ والأدب فى الصومال فى كتاب « مجاهد الصومال : السيد محمد عبد الله حسن » فقال :

وفى عام ١٨٩٦ عاد السيد محمد من الحجاز بعد أن أكمل دراسته العلمية فى الحرمين ، وأقام فى عدن عند عودته مدة لا تزيد عن ستة أشهر ، وقبيل ذهابه الى الحجاز نزلت حكومة المستعمرة فى ساحل بربرة بدعوى التجارة بدون رضى أهلها ، وأخذت تبنى الكنائس ، وتنشر دين المسيحية ، بعد أن انسحبت منها السلطات المصرية التى كانت ولاية من ولايات الخلافة الاسلامية . نزل السيد محمد عبد الله فى ميناء بربرة ، وعندما أراد أن يحمل متاعه الى البلد ، قال مدير الجمرك الانجليزى : لا تأخذ منه شيئا حتى تؤدى الرسوم الجمركية ، فقال السيد فى ثورة وغضب : وهل دفعت أنت رسوما جمركية عند نزولك هنا ؟ ومن أعطاك تأشيرة الدخول لبلادنا ؟ فرد الترجمان بما قاله ، وأضاف الى ذلك : أنه شيخ مجذوب . ولذلك أطلق الانجليز على السيد محمد : اسم الشيخ المجنون « الملا المجنون » ومضى السيد فى طريقه ، واستوطن بربره ، واشتغل بتدريس العلوم الدينية فى المساجد والمجالس العامة » .

وفى خلال اقامته ببربرة أنشأ مركزا لنشر تعاليم الطريقة الصالحية ، وأخذ من خلالها ينشر قيم الاسلام ومبادئه ، ويحث اخوانه على الكفاح فى سبيل نشر الاسلام ومناهضة أعداء الدين والوطن . وقد استطاع أن يقضى على الخلافات التى كانت موجودة بين صفوف اخوانه . وأحل الاخاء مكان التنافر والبغضاء .. وكان يجتذب الجماهير الى الاستماع اليه لبلاغته فى الحديث وسرعة الاستشهاد وبكلام الله تعالى وأحاديث الرسول ، كما أنه كان ينظم الشعر بالعربية والصومالية ، وكون حوله مجموعة ممتازة من المؤمنين بدعوته اسمهم الدراويش ومن أقواله المأثورة : (أريد أن أفرش سجاد الصلاة على هذا البحر لتؤلف بين المسلمين وتؤاخى بينهم) ، وكان ينادى بمحاربة العصبية ، وتنظيم المجتمع الصومالى على أسس دينية سليمة ، وكان يدعو الى أن نجاح هذه الدعوة يحتاج الى البذل والتضحية والى رفع راية الجهاد ضد الاستعمار وأعداء الدين » (١) .

---

(١) بتصرف من « الصومال قديما وحديثا » للاستاذ حمدى السيد سالم جزء ٢ .

وأخيرا وجد السبب المباشر لاعلان الجهاد المقدس من أجل حرية دينه وتحرير بلاده وهو نزول بعثات التبشير تحت الحماية البريطانية أرض الصومال الشمالي عام ١٨٩٧ م فاتصل بالانجليز لابعاد هؤلاء عن الوطن المسلم ، فماطلوا كسبا للوقت . فأعلن الجهاد المقدس ووقف يخطب في التجمعات المحتشدة ويقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « عليكم أن تقوموا بواجبكم الديني وأن تدفعوا شر هؤلاء قبل أن يستفحل الداء ويعز الدواء ، ان زعماء الكفار غزوكم في بلادكم يريدون افسادكم وافساد دينكم واجباركم على اعتناق مسيحيتهم معتمدين على حماية حكوماتهم لهم وعلى ما لديهم من سلاح وعتاد فحسبكم من سلاحكم ايمانكم بالله وقوة عزيمتكم فلا ترهبوا جنودهم ولا كثرة سلاحهم فالله أقوى منهم ، وأكثر جندا ، وكونوا جبارين على الشدائد موطنين النفوس على طول الجهاد في سبيل الدين والعقيدة :

(ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) (ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما) ثم يقول : « واياكم والضجر اذا توالت عليكم الهزائم فان الحرب سجال ، وقد تكون الهزيمة اختبارا لكم على صدقكم وقوة عزيمتكم قال تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) . ثم يحذرهم من الخونة فيقول : « واذا رأيتم بين المسلمين من يعين عليكم الكفار فاقتلوهم حيث وجدتموهم فليسوا بمسلمين فمن حمل السلاح علينا فليس منا » .

وقد أفزع هذا التجمع قوات الاحتلال ، فأرادوا أن يهددوه ظنا منهم أن التهديد قد يخيفه ، فيثنيه عن عزمه من تحرير أرض وطنه ، فأرسل اليه الجنرال كوفل القائد العام للقوات البريطانية في الصومال البريطاني آنذاك رسالة جاء فيها : « سننسفك نسفا اذا لم ترجع عن غيك واذا لم تخمد ثورتك الجنونية واعلم ان حكومة صاحب الجلالة عظيمة جدا ولا يستطيع مجنون مثلك أن ينال منها شيئا ، فارجع عما أنت فيه وعد الى صوابك قبل أن تقع المصيبة عليك ، وتندم على أعمالك السيئة والسلام » .

فما كان من البطل الصومالي الا أن كتب لساعته يرد عليه قائلا :

(من السيد / محمد بن عبد الله حسن قائد القوات الاسلامية الصومالية الى الجنرال كوفل قائد قوات الشيطان .. قد أطلعت على رسالتك ، وفهمت منها جميع أغراضك الدنيئة ، وأغراض حكومتك الوضيعة ، واعلم أن قواتكم التي تفاخرون بها لا تساوى لدى شيئا ، وأعلمك أيضا اذا كنتم تحاربوننا بقواتكم الهائلة وأسلحتكم الكثيرة العدد فانني أقاتلكم بنيتي الصالحة وايماني القوى وبعزيمتي التي لا تعرف الملل ، مهما تكن الظروف فلن استسلم ولن أكون للشرك عبداً) ..

ودارت معركة ليس لضراوتها نظير ، دخلها الجنرال كوفل بما لا يحصى عدده من الرجال والسلاح والعتاد الحربي الحديث . ودخلت الجيوش الصومالية معركة الثأر للكرامة الصومالية ، والتقى الجيشان في مدينة « تالح » وهزم فيها الانجليز هزيمة ساحقة ، مما اضطر الحاكم العام البريطاني أن يطلب الى السيد محمد عبد الله حسن الدخول في مفاوضات

لتصفية النزاع ، واجتمع الطرفان على مقربة من بلد تسمى « لاس عانو » وتقدم رئيس الوفد البريطانى الهدايا التى بعث بها اليه نائب الملك فى الهند ، وطلب اليه أن يخمد ثورته مقابل أن تعترف الحكومة البريطانية به ملكا متوجا للشعب الصومالى كله .

وهنا تظهر أصالة الرجال . وصدى تضحياتهم وتأثرهم بالقيم الدينية التى تجعل كل شىء وراء المعتقد وأهون منه وأرخص انه يحارب من أجل تحرير الوطن والتمكين للعقيدة ولا يبالى بعد ذلك بالدنيا وما فيها لهذا يرد السيد محمد عبد الله حسن على الوفد البريطانى قائلا :

« اننى لم أفكر فى يوم من الأيام أن أكون ملكا ولم يكن ذلك هدفى لا فى الحاضر ولا فى المستقبل ولكن هدفى الوحيد هو أن أطرد الاستعمار من بلادى ، وأعيد اليها حقوقها المغتصبة ، وأطهرها من الشرك والنفـــاق ولست أبالى بعد ذلك أن أحيا أو أموت .

وواصل الزعيم البطل كفاحه ضد الاستعمار. واستمر هذا الكفاح أكثر من عشرين عاما حتى تكتلت ضده أربع دول كبرى أوربية وأفريقية انجلترا وفرنسا وايطاليا والحبشة فى يدها المال والخبراء والسلاح الحديث ، ومع ذلك قاتل حتى آخر لحظة من حياته ولم يستسلم أبدا ، ولقى ربه فى عام ١٩٢١ م واستقر جثمانه فى رقعة مجهولة من تراب الأرض التى طالما سقيت من دماء الشهداء فى منطقة الأوجادين .

ولا يزال قبره حتى اليوم سرا مصونا الا عن أهله ورفاقه فى الكفاح ، لقد عاش حياته مناضلا أعداءه الأجانب ومحاربا الضعف والنفاق فى الجبهة الداخلية . وله رسالة رائعة اسمها « مباحث المنافقين » بين فيها رأيه فى الضرب بعنف على أيدى الذين يثبطون العزائم ، ويفرقون بين أبناء الأمة الواحدة ، وينأون بأنفسهم عن الجهاد وتحمل تبعاته وقد بدأ رسالته بقوله : « نحن قوم آمنوا بالعزم والايمان وعقدوا نيتهم أن يدافعوا عن دينهم ووطنهم وشرفهم بآخر قطرة من دمهم يجاهدون فى سبيل الله تعالى لاعلاء كلمة الاسلام الى أن يحققوا غرضهم أو يستأصلوا من فوق الأرض ، ونحن قوم نكافح لنطهر جميع أنحاء بلاد الصومال من الأعداء الكافرين المستعمرين لاننـــا نعلم تماما أنه لا يمكن أن نعبد الله فى أرضنا آمنين مطمئنين ولا أن نقيم أحكام كتابه ولا أن نستمرىء خيراتها ولا أن نستنشق نسيم الحرية فيها الا بعد تحقيق الغرض المذكور » . وبهذا يتضح ما للطرق الصوفية ورجالها من أثر رائع فى مقاومة الاستعمار وفى الحفاظ على العقيدة الدينيـــة ، وفى نشر الاسلام ومبادئه وفى الحفاظ على كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد كان أصحاب الطرق الصوفية حينما يوجدون فى جهة من الجهات تكون هذه الجهة مركزا للدعوة الاسلامية وحينما يكثر عددهم تكون الجهة مركزا ثقافيا اسلاميا يشع نوره على ما حوله من الجهات ، ومن أهم مراكز الدعوة الاسلامية فى الصومال :

مقديشيو — وبراوه — ومركه — وبربره — وزيلع — وهرر .

الفصل الرابع

أثر مساجد الصومال فى الحفاظ على الشريعة الاسلامية واللغة العربية

أ — كلمة تاريخيــة عن المساجد :

ان أول بيت تفتحت عليه أعين البشرية بناء أقيم ليعبد الله فيه ، ويذكر فيه اسمه ، وليجمع القلوب من حوله هاتفة لله رب العالمين ، داعية اياه خاشعة له مستلهمة منه الرشد والهداية ذلكم هو المسجد الحرام بمكة الذى قال الله فيه : (أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) وتتوالى وفود البشرية على الأرض ، وهم حينما يتلمسون مواطن استرواح لنفوســهم المكدودة ، وأماكن اطمئنان لأفئدتهم الحائرة ، يتجهون الى بيوت الله ، فهى كالواحات فى صحراء الحياة يستريح الى نبعها الحران ، ويطمئن الى ظلها الهيمان ، ويسكن عندها من أثقلته متاعب الرفاق . وكان رســول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد أن بعث بالرسالة يعبد الله فى هذا المسجد الحرام ، ولمـا هاجر الى المدينة وقبل أن يصل اليها مر بقباء فى طريقه الى المدينة ، ومكث بها أياما وأشار على أصحابه بأن يبنوا مسجدا للعبادة وبنى المسجد وقال الله فيه : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) . وحينما وصل الى المدينة كان أول ما فعل أن خطط لبناء المسجد النبــوى الشريف ، واستحث الهمم على اتمامه وكان يعمل فيه بيده ، وينقل على كتفه مواد البناء ويختلط التراب المتطاير أثناء العمل بعرقه المتصبب حتى يغطى بياض جسده ويرى الصحابة ذلك فينشطون ويخلعون ثيابهم الناصعة البياض لينسجوا بدلها ثيابا من الغبار المتطاير والرمال الكثيرة والعرق الذى يسيل ، وكانوا ينشدون وهم يعملون قائلين :

لئن قعـــدنا والرســول يعمــل لذاك منــــا العمــل المضـــلل

اذن بنى الرسول للمسلمين مسجداً فى المدينة قبل أن يبنى لنفســه بيتا ، وتربى فى هذا المسجد رجال كانوا قوام الليل وفرسان النهــار ، أدبوا الجبابرة ونشروا دين الله فى الأرض ، وتصدوا لجبروت القيــاصرة والأكاسرة ولم تكن رسالته قاصرة على مجرد أداء العبادة بل كانت تشمل التعليم ، وكان مجلسا للقضاء ومركزا لقيادة الجيوش ، وتعقد فى ساحته الامارة للقادة الذين يقودون جيوش المسلمين فى المعارك ، وبذلك يتحقق التكامل بين المسجد والمجتمع وميدان القتال ، ففيه العبادة والعلم وتنظيم

الجيوش المجاهدة . ولو انتقلنا الى أرض فلسطين لوجدنا المسجد الأقصى الذى أنشىء فى الماضى البعيد ، ومن حول هذا المسجد قامت أمة وكون مجتمع مؤمن ، وبهذا المسجد تترابط المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال الا اليها : مسجد مكة ومسجد المدينة ، والمسجد الأقصى . ولقد أدرك المسلمون فى مختلف عصور التاريخ فضل المسجد وأثره فى جمع الصف الاسلامى ، وتوحيد خطه الفكرى وفى تطهير المجتمع من السلبيات التى تعوق عن مسيرة تقدمه فشيدوا المساجد ولم يضنوا عليها بمال مهما يكن كثيرا ، وكان المسلمون اذا ما حرروا بلدا من البلاد أو قطرا من الاقطار كان أول ما يصنعون هو بناء المسجد الذى يرتبطون فيه بربهم وباخوانهم المؤمنين وهم يرجون الأجر من الله على اسهامهم فى انشاء بيوته حسبما قال : (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) .
ولهذا كان أول ما فعله عمرو بن العاص حين قدم الى مصر محررا لها من بطش الرومان هو بناءه المسجد العتيق سنة ٢١ هجرية وهو لا يزال قائما حتى الآن بمصر القديمة وكانت فيه ثمانى زوايا لتدريس العلوم ولما جاء الامام الشافعى الى مصر عرض مذهبه.وفقيه فى هذا المسجد فكان يبدأ تدريسه عقب صلاة الصبح فيجلس اليه أولا طلبة الحديث ، فاذا ارتفعت الشمس انصرفوا وعقدت حلقة المناظرة والمذاكرة فاذا ارتفع النهار أقبل عليه طلاب اللغة والشعر والنحو ويظلون هكذا حتى الظهر . وتتابعت المساجد الجامعة فى سائر جهات العالم الاسلامى فنرى الجامع الاموى فى دمشق ، ومسجد المنصورة ببغداد ، وجامع الزيتونة بتونس ، وجامع القرويين بفاس ، والجامع الأعظم بقرطبه ، والنجف الاشرف ببغداد .
وفى عام ٩٦٩ ميلادية أسس جوهر الصقلى مدينة القاهرة وأسس الجامع الأزهر ، وذلك منذ أكثر من ألف عام وكان له الدور الاول فى تعبئة الرأى العام ضد الوصاية العثمانية ، وكان لعلمائه مواقف مشهودة ضد الظلم فى الداخل وضد الاستعمار الأجنبى الوافد من الخارج كما كان للأزهر ولرجاله مواقف بطولية فى وجه الغزاة الفرنسيين على عهد نابليون وضد الاحتلال البريطانى فى فتراته المختلفة ، ويذكر التاريخ قيادة السيد عمر مكرم الشعب ضد حملة فريزر لصد الغزو الانجليزى . وشارك المقاتلين فى اقامة الاستحكامات الحربية وفى حمل السلاح حتى باءت حملة فريزر بالفشل .
ونرى شيخ الأزهر الشيخ زكريا الانصارى يعرض عليه الحاكم قايتباى منصب قاضى القضاة فيرفض ويلح عليه ويقول للشيخ استرضاء له : ان أردت نزلت ماشيا بين يديك أقود دابتك الى أن تصل الى بيتك ، وهنا قبل الشيخ المنصب ، وحدث أن أخطأ هذا الحاكم مرة فغضب عليه الشيخ وأسمعه كثيرا من ألوان التأنيب واللوم ، مع أنه هو الذى ولاه ، لقد قال له الشيخ : « أيها الملك تب الى نفسك ، فقد كنت عدما فصرت وجودا . وكنت رقيقا فصرت حرا ، وكنت مأمورا فصرت أميرا . وكنت أسيرا فصرت ملكا ، فلما صرت ملكا تجبرت ونسيت مبدأك ومنتهاك » ولا ينسى التاريخ دور الجامع الأزهر فى ثورة سنة ١٩١٩ فلقد كانت ساحته مكان تجمع جماهيرى تحشد فيه كل القوى ، وتلقى من على منبره الخطب النارية التى تلهب حماس الجماهير ، ويخرجون من ساحته الى قتال المستعمرين وجاءت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فعرفت للمساجد أثرها ومكانتها فى المجتمع — ولم يجد قائد الأمة مكانا يخاطب منه قلوب الجماهير أيام العدوان

الثلاثى الغادر سنة ١٩٥٦ الا منبر الأزهر حيث قال : لقد فرض علينا القتال وسنقاتل حتى ننتصر ومن أقوال الزعيم القائد آنذاك فى شأن المسجد :
« حسب الانسان أن تتوثق الصلة بينه وبين بيوت الله فان هذا خليق أن يمد له فى أسباب الهدى ، وأن يهيىء له الجو الصالح لتربية النفس وتقويم الخلق ، وذلك ما نرجو أن يكون لنا منه حظ فى أنفسنا و فى أبنائنا
« ولكى ندرك أبعاد رسالة المسجد فى توجيه الجماهير ، فاننا نذكر ان عندنا فى جمهورية مصر العربية حوالى عشرين ألف مسجد ، ما بين مساجد تابعة لوزارة الأوقاف ومساجد انشأها الاهالى بجهودهم الذاتية ، ويعقد فى كل مسجد مؤتمر أسبوعى فى صلاة الجمعة حيث يلقى الامام خطبة الجمعة التى تفتح لها القلوب ، وتنفعل بها النفوس أنها منشور أسبوعى يوجه من مكان مقدس وهو المنبر ، ويفتتح بحمد الله وبالصلاة والسلام على رسول الله ، ويختتم كذلك بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله والدعاء للمؤمنين والمؤمنات ، فيكون لدينا كل أسبوع عشرون ألف منشور ، وفى الشهر ثمانون ألفا وفى العام حوالى مليون منشور تصدر كلها باسم الله ويؤديه الرجل الذى قال الله فيه (واجعلنا للمتقين اماما) ، والمكان هو الذى قال الله فيه : (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رواد هذه المساجد : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

٢ — المسجد والمجتمع :

يسمى كثير من الباحثين المساجد بالجامعات العامة وذلك لانها تفتح أبوابها للجميع ، والثقافات فيها متنوعة متعددة ، ولعل فى وجه الشبه بين لفظ الجامع والجامعة ، ما يؤيد هذا الفهم ، وأنا لنقرأ فى الجزء الأول من كتاب « مساجد ومعاهد » هذ العبارة « المساجد الجامعة وان كان — الهدف من أنشائها هو اداء الفرائض الا انها ساعدت على التآلف والتعارف ونشر التعليم وأذاعته ، ونشر أوامر الدولة وقوانينها وكانت تتخذ محاكم لفض المنازعات الدينية والمدنية ، وأقيم فيها بيت المال وكانت تعقد فيها الدروس كما أقيمت الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم والتعليم الابتدائى فكانت بمثابة جامعة للطالب ينشأ فيها طفلا ويتخرج فيها عالما ، والمسجد فى صدر تاريخه الاسلامى كان مفتح الابواب للجميع لا يفرق بين جنس وجنس ولا بين لون ولون ولا بين نسب ونسب ، وتلغى فى ساحته الفروق الاجتماعية بين أبناء المجتمع ، ففى رحابه تتحقق المساواة بين الناس جميعا ، فأبو بكر القرشى وأبو ذر الغفارى وأبو موسى الأشعرى ، وبلال الحبشى — وصهيب الذى لقب بالرومى ، وسلمان الفارسى وفيروز الديلمى الكل يتلاقون فى رحاب المسجد فلا يحس أحدهم بفارق بينه وبين غيره ، وكان المسجد مع هذا كله مفتح الأبواب للمرأة كما هو مفتح الابواب للرجل ، فللمرأة الحق فى السعى الى المساجد وقد قال رسول الله : « لا تمنعوا اماء الله بيوت الله » ،

وللمرأة المسلمة أن تشهد الجماعات فى المساجد وان تستمع الى دروس الوعظ والارشاد ، وان تشارك فى ابداء الرأى ، اذا ما عرضت مسألة عامة كما حدث بين المرأة المسلمة وعمر بن الخطاب حينما أراد ان يضع حدا للمهور خشية مغالاة الناس فيها ، فقالت له : ان هذا أمر ليس لك يا عمر وكيف تفعل والله تعالى يقول : وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا » وتدبر عمر فيما قالته المرأة واستبان له صوابها فقال قولته التاريخية : أصابت امرأة وأخطأ عمر . ومما يدلنا على ان المرأة كانت تأخذ حظها كاملا من ثقافة المسجد وتوعيته أن النساء حينما رأين الرجال يتغلبون عليهن فى أوقات الاجتماع المشتركة داخل المسجد ذهب وفد منهن الى رسول الله وقلن له : يا رسول الله لقد غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما نلقاك فيه ، واستجاب الرسول لهن وخصص يوما يلقاهن فيه ..

لقد كانت الأسرة كلها فى العصور الاسلامية الاولى تخرج الى المسجد ، الرجل وزوجه وأولاده والجميع فى أحسن ثياب وأجمل زينة ، والاسلام قد نظم اجتماع الناس فى المساجد فالرجال فى الصفوف الاولى والاطفال خلفهن وفى آخر الصفوف النساء ، نظرا لما فى الصلاة من ركوع وسجود . .

٣ — المساجد فى الصومال :

واكب اقامة المساجد فى الصومال دخول الاسلام اليه مع أن — الاسلام يجعل الأرض كلها صالحة لأداء الصلاة فيها حسبما قال رسول الله « جعلت لى الأرض مسجدا وتربتها طهورا » الا ان المسلمين يقيمون المساجد لا لكى تكون أماكن للعبادة فحسب ولكن لتكون مواطن تجمع وأماكن تعليم وتثقيف فضلا عن أن صلاة الجمعة لا تصح الا فى المسجد . والصوماليون يميلون دائما الى أداء الفرائض جماعة فى المساجد وبخاصة صلاة المغرب . وذلك بالاضافة الى فريضة الجمعة ، وتسود البساطة المتناهية هذه الشعائر ، وغالبا ما يتكون المسجد من فناء مكشوف يؤدى الى ايوان مسقوف به أعمدة — مربعة الشكل أو مستديرة تحمل عقودا مدببة ، وقد تحمل السقف مباشرة وهو الأغلب ، وأجزاء المسجد جميعها بما فيها الأعمدة تبنى من الطوب والحجارة وتكسى بطلاء الجير الأبيض ، وقد يكون للمسجد مئذنة أو يكون برجاأو قبة مستطيلة والقليل منها على طراز المآذن الطويلة الرفيعة من نهايتها وهى الشائعة فى مصر ، والجاليات الاسلامية تبنى مساجد لها على الطراز المعروف لديها مثل الجالية الباكستانية والهندية، وقد كثرت المساجد فى المدن والقرى ولا يمكن أن تجد قرية الا وفيها مسجد ، وقد بلغ عدد المساجد بالعاصمة « مقديشيو » حوالى ١٥٠ مسجدا ما عدا الزوايا ، واذا أقيم مسجد جديد تؤدى فيه سائر الأوقات ما عدا صلاة الجمعة ، فلا يؤذن بها الا بعد استصدار قرار من قاضى المدينة الذى يعاين المسجد فاذا ما وجد مسجدا تقام فيه الجمعة ، ويقع قريبا من هذا المسجد بحيث يسع المصلين من أهل الحى ، فلا يأذن باقامة شعائر الجمعة فى هذا المسجد الجديد وذلك أنهم جميعا شافعيون ولا تتعدد الجمعة عند الشافعية بلا حاجة فالجمعة لمن سبق ، هذا فضلا عما فى تجميع أكبر عدد من المصلين فى مسجد واحد للجمعة من اظهار لروح الجماعة ومن وحدة التوجيه الدينى لأهل الجهة ، هذا فضلا عن قلة الخطباء الذين يمكن أن يزاولوا الخطبة فى

جميع المساجد ، وهم يسمون المسجد الذى لا تقام فيه الجمعة بالمسجد ، فان أقيمت فيه جمعة يسمى بالجامع ..

لقد وجدت المساجد فى الصومال قبل أن يعرفوا المدارس ، وعلى هذا فالمساجد — كانت مكانا للتعليم : تعليم العلوم الدينية من تفسيروحديثوفقه وتوحيد ، وتعليم العلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وأدب ، ولا تزال حتى الآن المساجد تضم بين جنباتها طلابا نذروا أنفسهم لتعلم العلم ، ويسمون طلاب المساجد وأكثر المثقفين فى الصومال قد درسوا فى هذه المساجد ، ولذلك تجد لديهم جميعا قدرا كبيرا من معرفة أحكام الفقه والتفسير والحديث ، وطلاب المساجد موضـع احترام النـاس وتقـديرهم وهم يتبركون بهم ، ويتنافسون فى الانفاق عليهم ، ومن الجميل الرائع أن ترى كثيرا من المساجد تعج بهؤلاء الطلاب من مختلف الأعمار ومعهم كتبهم الدينية والعربية المطبوعة فى مصر ، ومعهم مصاحف القرآن حيث يقضون نهارهم كله فى حفظ القرآن ودراسة هذه الكتب ، وهؤلاء الطلاب قرءوا القرآن قبل ذلك فى الدوكسى (الكتاب) وهى منتشرة فى بوادى الصومال وفى المدن والقرى .

هذه المساجد بطلابها حافظت على التراثالدينى وعلى اللغة العربيةفهى تخرج أجيالا متتابعة وكل جيل يتعلم ، ينتقل الى مسجد من المساجد يعلم فيه الطلاب القادمين الى المسجد ، وهكذا سلسلة متصلة الحلقات ، تعلم وتعليم وهم يعتبرون أن دراسة هذه الكتب العربية بجانب أنها ثقافة ومعرفة هى قربى الى الله ، لأنها توصل الى فهم كتاب الله وسنة رسوله الكريم .. أن الصوماليين جميعا موحدون بحكم عقيدتهم وشريعتهم فمن نعم الله عليهم أنهم جميعا مسلمون دينا ، شافعيون مذهبا أشعريون عقيدة ، صـوفيون طريقة ، ولهذا ترى الواحد منهم حينما يكتب اسمه على كتاب أو على وثيقة يقول : فلان الشافعى مذهبـا الأشعرى عقيـدة القادرى طريقـة مثلا . والشافعية عندهم خطبة الجمعة لا تصح الا باللغة العربية ولهذا ترى فى يوم الجمعة جميع منابر الصومال تنطلق منها الخطبة باللغة العربية الفصحى وغالبا ما يقرأ الخطيب من ديوان قديم مطبوع ، والجمهور يفهم ما يسمع منه واذا ورد فى الخطبة اسم رسول الله ارتج المسجد بالصلاة والسلام عليه ، واذا تحدث الخطيب عن نماذج مما تعرض له من ايذاء المشركين أو تعرض له أصحابه ترى أعينهم تفيض من الدمع حزنا ، وهم يذهبون الى المسجد فى ثياب بيضاء نظيفة ولا يتخطون الرقاب بل يجلس كل فى أول — مكان يجده خاليا ، مهما تكن مكانته الاجتماعية ، ولقد شاهدت بنفسى رئيس الجمهورية وهو يحضر الى المسجد لصلاة الجمعة ولا يجد مكانا الا فى مؤخرة الصفوف فيجلس كما يجلس سائر الناس ، وبعد الانتهاء من الصلاة يتجه الى خارج المسجد للخروج فيسلم عليه المصلونالذين يمر بهموهو واقفوهم جالسون كما يسلمون على أى مواطن .

ولقد كان لخطبة الجمعة التى هى بالعربية أكبر الاثر فى الحفاظ على اللغة العربيـة ولطلاب المسـاجد أثرهم الـكبير فى الحفـاظ على تعـاليم الاسلام ونشره فى سائر جبات الصومال ، وتفهيم الناس أحكامه وقواعده وآدابه . ومن أهم الدلائل على تعمق الدين فى قلوب الصوماليين ، وعلى مدى تمسكهم بالشريعة الاسلامية ما تحقق عمليا كصدى — لآمال الجماهير فى دستور الجمهورية الصومالية حيث ورد فى البنـد الأول من المـادة ٦١

منه « الاسلام دين الدولة » وفى المادة الخمسين نص على أن « الفقه الاسلامى مصدر أساس لقوانين الدولة » وقد طبق هذا النص لفظا وروحا، فلا تجد قانونا يصدر هناك الا اذا أبدى الفقهاء فيه رأيهم فى مدى ملاءمته لمبادىء الشريعة الاسلامية .

وفى المساجد تعبأ الجماهير ضد أساليب الاستعمار ، وموجات التبشير وكم من مظاهرات خرجت من المساجد عقب صلاة الجمعة ، احتجاجا على نشاط مبشر من المبشرين ، وأذكر أنه فى عام ١٩٦٠ وهو عام استقلال الصومال أشيع أن وفدا من اسرائيل سيحضر الى مقديشيو ضمن الوفود التى ستحضر للتهنئة ، وانتشر الخبر فى سائر جهات الصومال انتشار النار فى الهشيم وجاء يوم الجمعة ، وتحدث علماؤهم مبينين خطورة هذا الموقف وأعلنوا مقاومتهم لحضور أى يهودى الى بلادهم ، وخرجوا فى مظاهرات عارمة وعسكروا حول دار البرلمان وباتوا ليلتهم فى الميدان وظلوا معتصمين به حتى أذيع بيان رسمى ينفى دعوة اسرائيل للحضور ولن يحضر يهودى الى البلاد ، والصومال كسائر الدول العربية لا تعترف ولن تعترف باسرائيل وقد حدث هذا فعلا فالصومال من أشد الدول عداء لاسرائيل وتعتبرها قد سلبت أرض العرب وممتلكاتهم وأدانت هذا العدوان ، وحينما يشن الاستعمار عدوانا على آية دولة عربية ولا سيما مصر فان المساجد تقوم بالهاب حماس الجماهير ، لتقف مؤيدة لكفاح العرب ، وقد أيدوا مصر ولا يزالون تأييدا معنويا وماديا .. وللصوماليين علماء وفدوا الى الأزهر وتعلموا فيه وعادوا يحملون رسالة الهدى والخير ، وهم يؤدون واجبهم فى نشر اللغة العربية وفى الحفاظ على الشريعة الاسلامية ، ويتخذون من المساجد أماكن توعية للجماهير ، والبعثة الأزهرية حينما وصلت الى هناك تقوم بالخطابة فى أشهر المساجد وبالقاء الدروس الدينية طوال الاسبوع فى مختلف العلوم الدينية . والصوماليون يقبلون على هذه الدروس اعجابا رائعا ولكى تكون الافادة من الدروس مائة فى المائة فانهم يحبذون أن يعبر أحد الصوماليين ، المتفقهين باللغة الصومالية عما يشرحه الشيخ الأزهرى .

وأذكر أننا حينما أنشأنا مكتبا لبعثة الأزهر فى مقديشيو لأول مرة عام ١٩٥٩ وجعلنا فيه مكانا لمكتبة عربية لتشد الشباب الصومالى الى القراءة لم أجد ما أعمر به مكتبة البعثة الازهرية الا أن أستعير لها من أحد فقهائهم وهو الحاج على عبد الله درر مجموعة كبيرة من الكتب الدينية والعربية والتاريخية وهى كتب مراجع ، ويمكن ألا تجدها فى مكتبة بعض خريجى الأزهر المصريين ..

ومن أثر المساجد فى الحفاظ على الشريعة الاسلامية ما شاهدته من مواقف علمائهم وطلاب مساجدهم لمواجهة دعوة مسمومة ابتدأت تنفث سمومها فى العاصمة وهى الدعوة البهائية وكان ذلك ١٩٥٧ لقد تحرك العلماء فى المساجد ونبهوا الجماهير الى خطورتها على الاسلام فاحتج الجميع عليها وعلى القائمين بها ، وقضى عليها فى نفس العام .

واذا ما أحصيت مساجد الصومال ومقارنتها بعدد السكان فستجدها تمثل أكبر نسبة فى العالم الأسلامى بالنسبة لعدد السكان . وهذا مما يدل على أصالة الفكر الدينى عندهم وعمق التدين فى قلوبهم وتعتبر بحق حارسة لدعوة الاسلام فى منطقة شرق أفريقيا كلها ..

الباب الرابع

الصومال ومصر فى القرن التاسع عشر

(الادارة المصرية فى الصومال ومناطق هرر وبربرة
وملحقاتها وزيلع وملحقاتهـــا)

١) لقد كان اكتشاف رأس الرجاء الصالح في جنوب افريقيا بداية متاعب سياسية واطماع استعمارية عامة وافريقيا الشرقية خاصة

٤) وصول البرتغال إلى شواطئ الصومال ١٤٩٩م
٩٠١هـ

الاستنجاد بأمير عمان وارسال قوة جبارة
٢) بقيادة الامير سالم الصارمي

تابع البلاد بعد طرد البرتغال إلى الصومالية
وجعل الامير لكل قبيلة حاكما شيوخا
وهكذا كانت البلاد من حكم عمان الامير ...

الفصل الأول

بدء التدخل الأوروبي في الصومال

لقد كان لاكتشاف رأس الرجاء الصالح فى جنوب أفريقيا بداية متاعب سياسيه وأطماع استعمارية فى أفريقيا بعامة وفى شرق أفريقيا بخاصة ، وكانت الشعوب تهب للدفاع عن أموالها وأعراضها وأرواحها وتبذل الكثير من أجل حريتها ولقد وصل الاستعمار البرتغالى الى شواطىء الأراضى الصومالية عام ١٤٩٩م (٩٠٦ هـ) واغتصب البلاد ورغم المقاومة العنيفة التى كان الشعب الصومالى يقوم بها فى مواجهة هذا الاستعمار فقد ظل زهاء مائة وسبعين عاما وكانت الموانى الصومالية فى خلالها حمى مستباحا لسفن البرتغاليين من الأوروبيين الذين كانوا ينهبون كل ما تصل اليه أيديهم ولقد تحطمت موان كثيرة مثل ميناء براوه نتيجة حملات السلب والنهب والتدمير الواسعة التى قام بها الأفرنج « راكبو السفن » كما يصفهم الصوماليون ولقد أدى اشتداد الضغط الأجنبى على هذا الشعب الوادع المسالم الى الالتجاء الى أقرب قوة اسلامية والاستعانة بها فى نجدته تحقيقا لمبدأ التعاون على دفع الأذى والمشاركة فى السراء والضراء وامتثالا لقول رسول الله « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم » لقد أرسل الصوماليون رسالة سرية الى أمير عمان يشرحون له ظروفهم ويطلبون مساعدته وعونه ، وفى النصف الأول من القرن الحادى عشر الهجرى أرسل اليهم أمام عمان جيوشا جبارة يقودها الأمير سالم الصارمى ونزلت الى الأراضى الصومالية — واشتبكت مع البرتغاليين فى حرب طاحنة انتهت بجلاء البرتغاليين لا من الصومال فحسب بل من أغلب الموانىء التى كانت تحتلها فى الشاطىء الشرقى لأفريقيا ومن بينها موانىء ممباسة وزنجبار ، وهناك مخطوطة صومالية موجودة الى الآن تقول « ورجع الأمير الى عمان مسرور الحال وأخبر الامام أخبارا سارة عن نهاية القتال مع الذين كانوا يفعلون أمور المكروه والمنكر ، والآن المسلمون يدعون لك بالعمر الطويل ، فقد رفعت عنهم الذل والبلوى بأمر الذى يسمع الشكوى ، وكان ذلك الوقت سنة ١٠٧٦ هجرية» وطاب قلب الامام بذلك وقبل أن يغادر الأمير سالم الصارمى الصومال سلم أمور البلاد الى بنيها وجعل لكل قبيلة حاكما من شيوخها ، وظلت البلاد محكومة بينها حتى كانت حكومة برغش ، وسلاطين برغش نزحوا من امارتى مسقط وعمان فى جنوب شرقى الجزيرة العربية وأسسوا فى زنجبار وما حولها من أراضى الشاطىء الأفريقى الشرقى دولة عرفها التاريخ باسم دولة برغش ، وفى عهد حكومة برغش استقر الأمن وانتشر العمران — وبنيت المساجد بكثرة فى سائر أنحاء الصومال ، وتغلغلت الدعوة الاسلامية فى مناطق الجنوب بصورة لم يسبق لها مثيل .

وفى أواخر القرن التاسع عشر بدأ التنافس الأوروبى فى الصومال أشده ، وقسمت الأطماع الاستعمارية أرض الوطن الواحد الى خمسة أقسام :

١ — الصومال الايطالى : وقد احتلته ايطاليا عام ١٨٩١ م حتى قامت الحرب — العالمية الثانية وفيها انتصر الحلفاء فاحتل الانجليز الصومال الايطالى وطردوا ايطاليا الى أن كانت سنة ١٩٥٠ فوضع هذا الصومال تحت الوصاية الايطالية لمدة عشر سنوات يبدأ بعده الاستقلال وكانت هذه الوصاية فى ظل مجلس استشارى كونته الأمم المتحدة من ثلاث دول محايدة لا مطامع لها فى الصومال وهى الفلبين وكولومبيا ومصر وقد استقل هذا الصومال فى أول يوليو سنة ١٩٦٠ م .

٢ — الصمال البريطانى : وقد احتلته بريطانيا عام ١٨٨٣ م وقد استقل نتيجة كفاح متواصل ونضال متتابع من الشعب وكان استقلاله يوم ٢٦ يونيه سنة ١٩٦٠ واتحد مع الصومال الجنوبى .

٣ — ما يعرف بالصومال الفرنسى : وقد احتلته فرنسا منذ عام ١٨٨٣ م وعزلته عن العالم مدة طويلة بواسطة معاهدات صورية وبحصار محكم لا منفذ اليه الا منفذ الميناء المركزى بمدينة جيبوتى .

٤ — ما يعرف بالصومال الحبشى : وهى منطقة تلاصق حدود الحبشة فى وضعها الجغرافى وهى منطقة صومالية مائة فى المائة فى لغتها ودينها وجنسها وعاداتها ، وأخلاقها ، وكانت ضمن بلاد الصومال حتى قبيل عام ١٩٥٠ حيث سلمت بريطانيا قبل انسحابها من الصومال الجنوبى هذه المنطقة الى الحبشة رغبة منها فى ارضاء الأحباش أولا ، وخلقا لمشكلة معقدة ثانيا ، كما خلقوا مشكلة كشمير بين الهند وباكستان وكما خلقوا مشكلة اسرائيل فى قلب الامة العربية . ومن ذلك الوقت وتوجد أزمة حدود بين الصومال واثيوبيا .

٥ — ما يعرف بالصومال الكينى : وهذه المنطقة تقع فى جنوب الصومال وهى صومالية مائة فى المائة وملاصقة لحدود كينيا الا أن أهلها صوماليون ومن قبائل صومالية ومسلمون شافعيون الا أن بريطانيا عملت على ضم هذه المنطقة الى كينيا لمجاورتها لها ولأن كينيا كانت آنذاك مستعمرة بريطانية كبيرة فى أفريقيا فكأنها ضمت هذه المنطقة الى مستعمراتها ولا يزال الشعب الصومالى يكافح من أجل توحيد هذه الأقاليم بعد أن اتحد أقليمان منه وهما الاقليم الجنوبى والاقليم الشمالى . وبالصبر والصمود والتضحية ووحدة الصف سيحقق ما يريد باذن الله .

٢ — مصر والصومال فى القرن التاسع عشر :

لقد كانت مصر منذ تأسيس المراكز الاسلامية فى مقديشيو وزيلع وبربره وهرر مقصدا لمن يريد الاستزادة من العلوم الاسلامية من خريجى هذه المراكز ، فكان هؤلاء — يسافرون الى مصر لدراسة العلوم الاسلامية على

يد علماء مصر فى الأزهر الشريف وكان هناك رواق مستقل لطلبة هذه البلاد فى الأزهر يسمى رواق « زيلع » وكانت مشيخة هذا الرواق تعقد لأحد كبار مشايخ بلاد « الزيلع » وأشهر المعروفين لنا من هؤلاء المشايخ أجداد الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ المشهور ، وهو يحدثنا فى كتابه المسمى « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » أن أسرته أصلها من بلاد جبرت ويصف لنا بلاد جبرت وسكانها فيقول : « هى بلاد الزيلع بأرض الحبشة تحت حكم الحطى ملك الحبشة ، وهم عدة بلاد معروفة تسكنها هذه الطائفة وهم المسلمون بذلك الاقليم ، ويتمذهبون بمذهب الحنفى والشافعى لا غير ، وينسبون الى سيدنا أسلم بن عقيل بن أبى طالب ، وهم قوم يغلب عليهم التقشف والصلاح ويأتون من بلادهم بقصد الحج والمجاورة فى طلب العلم ويحجون مشاة ولهم رواق بالمدينة المنورة ورواق بمكة المشرفة ورواق بالجامع الأزهر بمصر .

وقد استوطنت أسرة الجبرتى مصر وكان أبناؤها يتوارثون مشيخة رواق زيلع حتى الجبرتى المؤرخ كان آخر من تولى هذه المشيخة ، وذلك فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى (أوائل القرن التاسع عشر الميلادى) وبذلك تكون مشيخة رواق زيلع قد انحصرت فى أسرة الجبرتى زهاء ثلاثة قرون .

ولما جاء عصر محمد على (١٨٠٥ — ١٨٤٨ م) بدأ الاهتمام بالسواحل الأفريقية للبحر الأحمر والمحيط الهندى فى العصر الحديث ، فاستأجر محمد على مينائى سواكن ومصوع من سلطان تركيا لتتمكن مصر من ربط هذه المناطق بالخلافة العثمانية ولتنشيط التجارة بين مصر وهذه الاقاليم ولما تولى اسماعيل حكم مصر ، اتجه نحو سواحل البحر الأحمر من الجنوب ، اتجه الى بلاد زيلع والصومال وبخاصة أن — أهميتها كانت قد تزايدت بعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ وكانت مصر تملك أسطولا فى البحر الأحمر مكونا من ثمان سفن بقيادة جمالى بك ، وكان لهذا الاسطول محطات فى نقط متفرقة على الساحل الافريقى للبحر الأحمر حتى أقصى نقطة شرق خليج عدن ، ودليل ذلك أنه فى يوليو عام ١٨٧٠ م عين مختار باشا حاكما على الساحل الأفريقى من السويس الى جردفوى . وكان هذا الاسطول يحمى هذه المناطق الاسلامية من عدوان المستعمرين الأوروبيين . وفى عصر اسماعيل كذلك اتحدت زيلع الاسلامية مع مصر الاسلامية واتحدت بربره كذلك مع مصر وعين اسماعيل ضابطا كبيرا اسمه رءوف باشا محافظا لزيلع كما عين ضابطا كبيرا اسمه رضوان باشا محافظا لبربرة . وقد شاهدت بنفسى فى بربرة أثر العمران الذى تم أيام وجود المصريين فى بربرة ، فلا يزال يوجد حتى الآن مسجد كبير وخزان للمياه العذبة ، وميناء بربرة ومنارة لارشاد السفن . ولقد كانت مدينة هرر الاسلامية يحكمها أمير يسمى محمد ابن عبد الشكور ، وقد اشتهر بالقسوة والاستبداد حتى حرم على أهل البلاد تناول بعض اطعمة كالأرز والبلح والزبد ، بحجة أن أمثال هذه الأطعمة من حق الملوك وحدهم ، كما كان يحتكر تجارة العاج وريش النعام والبن ، لهذا حينما اتجه رءوف باشا محافظ زيلع لتحرير هذه المدينة من الظلم قابله الأهالى بالترحاب ، ودخلها بسهولة فى ١١ أكتوبر عام ١٨٧٥ بين تهليل السكان وتكبيرهم . وفى هرر قام المصريون بحركة اصلاح واسعة النطاق ، فوفروا مياه الشرب للأهالى عن طريق بناء حوض كبير فى المدينة كانت المياه

تجلب اليه من المدن القريبة ، وعملوا على رفع مستوى أهل هرر الاقتصادى فعنوا بالزراعة بعد أن لاحظوا وجود مساحات شاسعة من الأراضى الصالحة للزراعة مهملة ، وجلبوا تقاوى المزروعات من مصر ، كما عنى المصريون بتشجيع الصناعات المحلية وبخاصة صناعة المنسوجات ، واهتموا بالاصلاحات الادارية والاجتماعية وأنشأوا المدارس لتعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن وعهدوا الى الفقهاء المصريين تعليم الشباب أصول الدين وتدريس الشريعة وكان يقيم فى هرر جالية مصرية كبيرة يبلغ عدد أفرادها ١٤٥٠٠ مصرى وقد تزوج بعضهم من أهل المدينة وفى مدة عشرة أعوام وصلت الادارة المصرية فى الصومال وهرر الى مستوى لم تبلغه البلاد فى عهد الادارات الأجنبية التى أتت بعدها ولو استمرت الادارة المصرية هناك زمنا لما وجدت فى تلك المناطق انسانا لا يعتنق عقيدة الاسلام بعد ذلك أراد المصريون ايجاد منفذ للاسطول المصرى على المحيط الهندى فى محاذاة خط الاستواء لهذا خرج الاسطول المصرى فى سبتمبر سنة ١٨٧٥ قاصدا بربرة ومن هناك اتجه الى رأس حفون ، فى شمال الصومال ، فاستقبلهم الصوماليون بالترحاب فهم اخوتهم المسلمون الذين ينشرون — الاسلام ويحاربون الكفار ، ثم أقلعت السفن المصرية وسط حفاوة الجماهير ومضت بحذاء الساحل حتى وصلت الى بلدة براوة التى كانت تابعة لسلطان زنجبار فى ذلك الوقت وقد رحب سلطان براوة بالمصريين باعتبار أنهم اخوة مسلمون وليس لهم مأرب من وجودهم فى هذه المناطق ، وبعد أن ترك قائد الاسطول حاكما مصريا على هذه البلدة ، اتجه بسفنه الى بلده كسمايو الواقعة جنوبا عند مصب نهر جوبا ، وما كادت السفن ترسو عند كسمايو حتى جاءت وفود كثيرة من الصوماليين الى الشاطىء لتحية أخوانهم المصريين ، فهم جميعا ولايات اسلامية فى ظل الخلافة الاسلامية والمسلمون اخوة مهما تناءت الديار ، وتباعدت الأقطار ، وانتهز الصوماليون هذه الفرصة وطلبوا من اخوانهم المصريين التوسط فى فض نزاع بين بعض قبائل الصومال المتنازعة وقدم أربعة من زعماء براوة وكسمايو التماسا يطلبون فيه التدخل للاصلاح وقد ذكر الضباط المصريون فى مذكراتهم أسماء هؤلاء الزعماء الأربعة وهم عثمان شيخو . وعلى القاضى ، والحاج محمد بن عبد القادر ، ومحمد بشير ، وقد سارت السفن المصرية فى نهر جوبا مسافة ١٥٠ ميلا بقصد استكشاف طريق الى منطقة البحيرات الاستوائية عبر نهر جوبا ولكن لتعذر الملاحة عادت السفن الى كسمايو حيث أطلق عليها « بور اسماعيل » .

وخلال ذلك الوقت كانت انجلترا تراقب تحركات الاسطول المصرى فى قلق بالغ خصوصا حينما رأت ترحيب الصوماليين باخوانهم المصريين لأنهم مسلمون مثلهم ، بل وجدوا أن سلطان الجهات الأخرى البعيدة كانوا يأتون الى المصريين طالبين الاتحاد معهم لأن فى ذلك قوة للاسلام والمسلمين ، كما حدث عندما جاء سلاطين جزر القومور — (شمال غرب جزيرة مدغشقر) الى المصريين فى كسمايو وأعربوا لهم عن رغبتهم فى أن — يكونوا من رعايا حكومة مصر بصفتها حامية للاسلام(١) ، لذلك أسرعت انجلترا بتدبير مؤامرة ضد المسلمين ، فأوعزت الى سلطان زنجبار الذى كانت تسيطر عليه أن يحتج

---

(١) محمد صبرى الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ص ٣٠ .

على — وجود المصريين فى براوة وكسمايو التابعتين له ، وأيدته انجلترا علنا ، ونجحت المؤامرة واضطر اسماعيل الى سحب جنوده من براوة وكسمايو ، والواقع أن الذى أثار الانجليز على المصريين هو رغبتهم فى عقد معاهدات تجارية لمصلحتها مع زعماء الصومال ووجود مصر معوق لهذه الاتفاقيات ، وكذلك وجدوا أن المصريين موضع حفاوة أهل البلاد ، وكان المصريون اذا ما حلوا بأرض أقاموا فيها كثيرا من المشروعات الحيوية التى تخدم أهل البلاد ، ويساعد على ذلك ايمانهم بأنهم يخدمون اخوانهم فى العقيدة ومن خلال ذلك ينشرون الثقافة الاسلامية ويعملون على الحفاظ على لغة القرآن الكريم ويبشرون بدين الاسلام . وقد كثرت دسائس الاستعمار بهدف اخراج مصر من الصومال كلها ، وقررت الحكومة المصرية سحب جميع المصريين من هناك ، وقد وقع هذا القرار على أبناء الشعب الصومالى وقوع الصاعقة ، فأرسل أهالى بربرة عدة عرائض الى الحكومة المصرية طالبين منها عدم الانسحاب، وقد جاء فى احدى هذه العرائض « اننا مسلمون ولا ندين بالطاعة الا لمسلمين مثلنا(١) » وكتب سكان هرر عريضة أخرى وقع عليها ثلاثة وخمسون شخصا من الأعيان والتجار الوطنيين جاء فيها :

« من خمسين سنة خلت كانت هذه المملكة ميدانا للبربرية يحكمها ملوك صغار وكان اهراق الدماء وأعمال السلب والنهب قائمة على قدم وساق وقد هيمنت الحكومة المصرية على هذه البلاد قبل تسعة أعوام ، فوطدت النظام والأمن ، وجعلت من مدينة هرر مركزا من أهم مراكز التجارة ، فاذا كان قرار الحكومة لا مرد له لم يكن لنا بد من — الهجرة مع الجنود وترك أملاكنا للنبب (٢) » .

وقد أخلت مصر تحت الضغط الاستعمارى تاجورة وزيلع وبربره عام ١٨٨٤ أما هرر ، فرفضت حاميتها تنفيذ أمر الاخلاء واستعدت للمقاومة ولكن صدور الأوامر بفصل كل متمرد من خدمة الجيش ، جعل الحامية تستسلم للقرار وخرجت من المدينة فى شهر يونيو من العام التالى (١٨٨٥) وسط أسى الناس وأحزانهم ..

وبعد خروج المصريين اقتسمت الدول الاستعمارية الاسلاب فأخذت فرنسا تجوره واستولت انجلترا على زيلع وبربره وبلهار ، وضمت ايطاليا رأس جرد فورى — كما أخذت مصوع وأريتريا بالاتفاق مع انجلترا . أما هرر فقد هاجمها الأحباش عام ١٨٨٧ واستولوا عليها عنوة ، وعادت اليها الفوضى والاضطراب ، ولا تزال حتى الان هرر الاسلامية ترزح تحت الحكم الاثيوبى .

وحسب المصريين أثرا فى تلك المناطق فضلا عن النهضة الاسلامية المجيدة أنهم — ساعدوا على خلق فكرة القومية الصومالية وعمقوا فى نفوس الشعب الصومالى كراهية الاستعمار الذى يحارب الاسلام ليحل محله الكفر والوثنية، وقد تجلت مظاهر هذه القومية فى الثورة العارمة التى قادها البطل الصومالى المناضل محمد عبد الله حسن ضد العصبية القبلية وضد الاستعمار . وذلك فى أوائل القرن العشرين ..

---

(١) الامبراطورية السودانية لمحمد صبرى ص ١٤٦ .
(٢) نفس المصدر ص ١٤٧ .

الباب الخامس

علاقة الصومال بمصر بعد الحرب العالمية الثانية

الفصل الأول : دور مصر الخالد فى استقلال الصومال واحباط المخططات الاستعمارية .

الفصل الثانى : الصومال بعـــد الاستقلال وحركة التعليم ونشر الوعى الدينى .

الفصل الثالث : الصومال بعد ثورة ٢١ أكتوبر سنة ١٩٦٩

الفصل الأول

دور مصر الخالد فى استقلال الصومال واحباط المخططات الاستعمارية

قامت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ وحقق الألمان فى الميدان الأوربى انتصارات سريعة مما حفز ايطاليا على الانضمام اليهم رسميا حتى يكون لها نصيب فى المغانم وبخاصة على حساب الاستعمار البريطانى والفرنسى . ولم تكد ايطاليا تعلن الحرب على بريطانيا فى ١٠ يونيو سنة ١٩٤٠ حتى أخذت تستعد لاخراجها من بعض مراكزها الاستراتيجية فى القارة الأفريقية ففى الثامن من أغسطس من نفس العام شنت هجوما على الصومال البريطانى ، وأجبرت القوات البريطانية على الانسحاب فى يوم ١٨ من الشهر نفسه ، ولكن فى العام التالى تحول التيار ضد دول المحور ومنهم ايطاليا فغادرت الاقليم الذى احتلته واستسلمت فى الصومال الايطالى وأثيوبيا وتولت الادارة العسكرية البريطانية الأمر فى الصومال الايطالى وأقليم أوجادين كما عادت الى الصومال البريطانى وكان الحلفاء يذيعون أثناء هذه الحرب العالمية الثانية أنهم يدافعون عن حريات العالم ويهدفون الى تخليصه من الدكتاتوريات النازية والفاشية ويدافعون عن — الديموقراطية والعدالة والسلام ثم جاء ميثاق الاطلنطى بعد ذلك يتحدث عن الحريات الأربع التى يجب أن تنعم بها الشعوب فى حالة انتصار دول الحلفاء . ولقد صدق الصوماليون — كشأن العالم كله — هذه الدعايات ورأوا أن الحبشة قد — استردت حريتها وعاد امبراطورها من منفاه الى عرشه ، اذن فلن يعود الاستعمار الايطالى الى الصومال الجنوبى ، وسيجلو الانجليز عن الصومال الشمالى ومنطقة الأوجادين ولقد أخذت بريطانيا تتحدث عن قيام وحدة كبيرة تضم الصوماليين فى الاقاليم الثلاثة الايطالى والبريطانى والأثيوبى وهذا يتفق مع أهداف الشعب الصومالى(١) .

ثم انتهت الحرب عام ١٩٤٥ وبذل فيها الصوماليون الكثير من قواهم البشرية والمادية من أجل انتصار الحلفاء لتتحقق لهم الوعود فى الاستقلال والوحدة ، وبدأت فكرة الكفاح من أجل تحقيق هذين المبدأين عن طريق تكوين نادى الشباب الصومالى الذى ظهر الى عالم الوجود لأول مرة فى أبريل من عام ١٩٤٣ وحددت الهيئة التأسيسية أغراضها بأنها توحيد الشباب والقضاء على القبلية والعمل على نشر التعليم وتعميم الثقافة ، ويلاحظ أنه لم يذكر

---

(١) الصومال الكبير للدكتور راشد البراوى

الفصل الأول

دور مصر الخالد في استقلال الصومال وإحباط المخططات الاستعمارية

قامت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ وحقق الألمان فى الميدان الأوربى انتصارات سريعة مما حفز ايطاليا على الانضمام اليهم رسميا حتى يكون لها نصيب فى المغانم وبخاصة على حساب الاستعمار البريطاني والفرنسى . ولم تكد ايطاليا تعلن الحرب على بريطانيا فى ١٠ يونيو سنة ١٩٤٠ حتى أخذت تستعد لاخراجها من بعض مراكزها الاستراتيجية فى القارة الأفريقية ففى الثامن من أغسطس من نفس العام شنت هجوما على الصومال البريطانى ، وأجبرت القوات البريطانية على الانسحاب فى يوم ١٨ من الشهر نفسه ، ولكن فى العام التالى تحول التيار ضد دول المحور ومنهم ايطاليا فغادرت الاقليم الذى احتلته واستسلمت فى الصومال الايطالى وأثيوبيا وتولت الادارة العسكرية البريطانية الأمر فى الصومال الايطالى وأقليم أوجادين كما عادت الى الصومال البريطانى وكان الحلفاء يذيعون أثناء هذه الحرب العالمية الثانية أنهم يدافعون عن حريات العالم ويهدفون الى تخليصه من الدكتاتوريات النازية والفاشية ويدافعون عن — الديموقراطية والعدالة والسلام ثم جاء ميثاق الاطلنطى بعد ذلك يتحدث عن الحريات الأربع التى يجب أن تنعم بها الشعوب فى حالة انتصار دول الحلفاء . ولقد صدق الصوماليون — كشأن العالم كله — هذه الدعايات ورأوا أن الحبشة قد — استردت حريتها وعاد امبراطورها من منفاه الى عرشه ، اذن فلن يعود الاستعمار الايطالى الى الصومال الجنوبى ، وسيجلو الانجليز عن الصومال الشمالى ومنطقة الأوجادين ولقد أخذت بريطانيا تتحدث عن قيام وحدة كبيرة تضم الصوماليين فى الاقاليم الثلاثة الايطالى والبريطانى والأثيوبى وهذا يتفق مع أهداف الشعب الصومالى(١) .

ثم انتهت الحرب عام ١٩٤٥ وبذل فيها الصوماليون الكثير من قواهم البشرية والمادية من أجل انتصار الحلفاء لتتحقق لهم الوعود فى الاستقلال والوحدة ، وبدأت فكرة الكفاح من أجل تحقيق هذين المبدأين عن طريق تكوين نادى الشباب الصومالى الذى ظهر الى عالم الوجود لأول مرة فى أبريل من عام ١٩٤٣ وحددت الهيئة التأسيسية أغراضها بأنها توحيد الشباب والقضاء على القبلية والعمل على نشر التعليم وتعميم الثقافة ، ويلاحظ أنه لم يذكر

(١) الصومال الكبير للدكتور راشد البراوى

فى الأغراض أهدافه السياسية ولعل السبب فى ذلك أنه أخفاها لأنه أنشىء فى ظل الادارة العسكرية البريطانية(١) ، حتى لاتحاربه هذه القوى الاستعمارية وهو فى بدء تكوينه ، وانتهت الحرب وبدأت الدول الأربع الكبرى المنتصرة وهى الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا وفرنسا تحدد مصير المستعمرات الايطالية وبرزت اطماع سافرة ومستترة ، بريطانيا تطمع فى الوصاية على الصومال الايطالى وايطاليا تسعى الى استعادة مركزها . بل أن أثيوبيا نفسها راحت تطالب بضم هذا البلد الى أراضيها وازاء هذه المناورات كان لابد لهذا النادى أن يعلن عن أهدافه فأعلنت الهيئة التأسيسية رسميا فى ابريل من عام ١٩٤٧ تحولها الى حزب سياسى يعارض عودة ايطاليا الى الصومال ويقرر العمل الى حماية مصالح الصوماليين بالوسائل الدستورية وانضم الى هذا الحزب كثير من زعماء القبائل ، وأنشىء تبعا لذلك عدد من — الأحزاب والجماعات السياسية الأخرى ولكل منها أهداف خاصة ..

ولم تستطع هذه الدول الأربع الكبرى الوصول الى اتفاق بشأن مستعمرات ايطاليا وهنا قررت احالة المسألة كلها الى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الثالثة فحولتها الى اللجنة السياسية للبحث . وفى هذا الوقت تم التفاهم بين بريطانيا وايطاليا على أن تتولى الادارة فى الصومال الدولة الايطالية ، ثم صدر قرار الأمم المتحدة بالنسبة الى الصومال على الوجه الآتى (٢) .

١ — يصبح الصومال دولة مستقلة ذات سيادة ويصبح هذا الاستقلال نافذا فى نهاية عشر سنوات من موافقة الجمعية العامة على اتفاقية الوصاية.

٢ — خلال الفترة المذكورة يوضع الصومال تحت الوصاية الدولية وأن تكون ايطاليا هى السلطة القائمة بالادارة .

٣ — يساعد السلطة القائمة بالادارة ويقدم لها النصيحة مجلس استشارى يتكون من : ممثلى الدول الآتية : كولومبيا ، مصر ، الفلبين ، ويكون مقره مقديشيو .

٤ — يبدأ المجلس الاستشارى مزاولة أعبائه عندما تبدأ الحكومة الايطالية مزاولة الادارة المؤقتة وغير ذلك من البنود ، وقد أقرت هيئة الأمم المتحدة منح صوماليا استقلالها بعد عشر سنوات — كان ذلك فى شهر نوفمبر سنة ١٩٤٩ ووافقت على ذلك الجمعية العامة فى ٢ ديسمبر ١٩٥٠ وأصبحت مصر عضوا فى المجلس الاستشارى لهيئة الامم المتحدة .

وهنا وجدت مصر الفرصة سانحة للاسهام فى استقلال الشعب الصومالى الشقيق ، وفى حماية حقوقه والدفاع عن مصالحه ، والاشراف على تطوير اقتصادياته وتحسين مستواه الاجتماعى والثقافى وتأكيد روابط الاخوة القديمة قدم التاريخ ، والتى دعمها الاسلام . وقد تسلمت الادارة الايطالية الشئون الادارية من بريطانيا ، وبدأت نشاطها منذ أول ابريل سنة ١٩٥٠ ويذكر التاريخ حدثين جليلين من أحداث هذه الفترة :

---

(١) الصومال الكبير حقيقة وهدف د. راشد البراوى .
(٢) السياسة والحكم فى افريقيا للدكتور عبد الملك عوده .

أولا : الاحتفال لأول مرة بيوم الأمم المتحدة وقد شاركت فيه الادارة الوصية والمجلس الاستشارى وعموم طبقات الشعب الصومالى وذلك فى ٢٤ أكتوبر عام ١٩٥٠ ، وذلك يعنى تقدير الأمم المتحدة التى تعمل على حرية جميع الشعوب واستقلالها .

ثانيا : تحديد اللغة الرسمية للدولة : فقد قدم زعماء الشعب الصومالى الى الادارة الوصية والمجلس الاستشارى فى نوفمبر سنة ١٩٥٠ عريضة بشأن اللغة الرسمية للبلاد وهذا هو نص العريضة (١) :

ونحن علماء بلاد الصومال ورؤساء قبائلها وشيوخها ، وأعيانها ورؤساء الأحزاب السياسية بها ، نرفع الى السلطة القائمة بادارة هذه البلاد وهى ايطاليا ما أجمعنا على اقراره نهائيا ، بخصوص اللغة الشعبية الرسمية فى هذه البلاد ..

اننا نختار اللغة العربية لغة شعبية رسمية لهذه البلاد للاسباب الآتية :

١ ــ ان اللغة العربية لغة الدين ولغة القرآن الكريم .

٢ ــ ان اللغة العربية لغة المحاكم الشرعية فى جميع نواحى القطر وما زالت حتى اليوم .

٣ ــ ان اللغة العربية لغة التجارة والمكاتبات منذ انتشار الاسلام فى هذه البلاد حتى اليوم .

٤ ــ ان اللغة العربية لغة يتكلم بها أغلبية السكان .

٥ ــ ان اللغة العربية قد اختارها الشعب بالاجماع لتكون لغة البلاد الشعبية الرسمية وهى مجرى طبيعى لا نجد مناصا منه .

وعليه فان هذه اللغة لغة اربعمائة مليون مسلم فى انحاء العالم يدينون بالديانة الاسلامية وقياسا على هذا لا يجوز أن نخالف اخواننا فى لغتهم ودينهم ، زد على هذا ، انالمدارس فى أنحاء البلاد الصومالية لم تكن تعتمد فى غرس الديانة ونشر الثقافة والعلوم الا على هذه اللغة كلغة من اللغات السامية لها أساسها وقواعدها الفائقة ، وفوق هذا وذاك الشعب الصومالى جزء لا يتجزأ عن أشقائه من الشعوب الاسلامية ويعد اتصاله بالعالم الاسلامى عن طريق المبادىء العامة واللغة العالمية أساسا متينا للبلاد ، له ما له من الأهمية الكبيرة عن طلب المعارف وازدهار الحياة ، الأمر الذى يضمن لنا مستقبلا حيا فى الآداب والعلوم ، وطبيعى اننا أمة اسلامية لا يمكننا ان نختار غيرها لأنها لغة دين أولا ، ولأنها منهلنا الذى

---

(١) اطلعت على صورة من هذا النص لدى الرجل الذى وقعها نيابة عن العلماء والزعماء وهو الشريف محمود عبد الرحمن رئيس الرابطة الاسلامية الصومالية ، أيام أن كنت رئيسا لبعثة الازهر الشريف بالصومال (المؤلف) .

نكرع من معينه الصافى العذب أطيب ما فى الفنون الاسلامية من نفع وخير ، وتجعلنا على الدوام مجتمعين تحت راية الاسلام التويم ومن حاد عن هذا أجمعنا على أنه أراد ان يعمل ضد النظام الاسلامى فى البلاد الصومالية . (انتهى نص العريضة) وقد وقع على هذه العريضة نيابة عن العلماء والمشايخ وأولى الرأى الشريف محمود عبد الرحمن رئيس الرابطة الاسلامية الصومالية ، ومما يذكر لهذا الرجل بالفخر والتقدير انه يؤمن كل الايمان بأن الصومال يقوى ويعز متانة صلاته بمصر ، فالأصل واحد والدين واحد واللغة واحدة وقد ارتبطت معه بصداقة حميمة ولمست فيه تحمسه لقضايا العروبة والاسلام وايمانه بمستقبل أمته فى الحرية والتقدم طالما أنها متمسكة بتعاليم دينها ، مرتبطة برباط وثيق مع شقيقتها مصر — ولا يزال حتى اليوم يناضل من أجل تحقيق هذه الأهداف . وكان خير صديق لمندوبى مصر فى المجلس الاستشارى كما صادق وآخى بين جميع المصريين الذين عملوا بالصومال .

ولقد سارعت مصر الى تقديم معوناتها الى هذا الشعب الشقيق ايمانا منها بواجب الأخوة الدينية والصداقة الشريفة فأرسلت أولا البعثات الدينية من علماء الأزهر الشريف لنشر الثقافة الاسلامية ولتأكيد صلات الأخوة الدينية بين الشعبين المصرى والصومالى ، ولدعم اللغة العربية ، وقد استقبل الشعب الصومالى علماء الأزهر بالحفاوة والاجلال ، فهم قادمون من الأزهر أحب المؤسسات الى قلوبهم ، والذى يفاخر به من ينتسب اليه أو يجلس الى أحد علمائه ، كما استقدمت مصر بعض الطلاب الصوماليين للدراسة فى مصر فى وقت لم يكن للصومال فيه أى مبعوث للدراسة فى خارجه .وقد تنبهت ايطاليا الى ذلك فأخذت بعض الطلاب الى معاهدها فى ايطاليا ومنحتهم شهادات رسمية وجعلتهم يتقنون لغتها ليكونوا فيما بعد عماد الجهاز الادارى فى الدولة بعد صوملته . وزاد اهتمام مصر بالصومال بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ حيث — أرسلت أول بعثة تعليمية الى هناك تتكون من تسعة عشر معلما ومعلمة وكذلك زادت ، المنح التى تقدمها للطلبة الصوماليين كما زاد عدد مبعوثى الأزهر الشريف .

وفى عام ١٩٥٦ أنشئت أول قنصلية لمصر فى مقديشيو وفى نفس السنة افتتح المؤتمر الاسلامى مركزا ثقافيا له فى مقديشيو ، والحقت به مكتبة عربية وعيادة طبية تعالج المرضى بالمجان — كما أرسلت الخبراء فى الزراعة وفى الطب وفى التعليم — وخطت الصومال بفضل هذا التعاون بينها وبين مصر خطوات سريعة نحو التقدم — والاستقلال مما ضايق الاستعمار ففكر فى افساد تجربة وصاية هيئة الأمم على الصومال وتعطيل نيل الاستقلال فى الموعد الذى حددته الامم المتحدة .

وقد فطن مندوبو مصر فى المجلس الاستشارى لهذه الاتجاهات الخطيرة ، ورأوا ان من واجبهم الكشف عنها للشعب الصومالى وتبصيره بها ، وبذلوا جهودا كبيرة — لاحباطها وفعلا أحبطت هذه المناورات ولكن قدمت مصر فى سبيل الحفاظ على استقلال الصومال شهيدا عزيزا مؤمنا بربه مضحيا بكل وقته من أجل أخوته الصوماليين وهو الشهيد محمد كمال الدين صلاح

ممثل مصر فى المجلس الاستشارى لقد استشهد فى شهر رمضان وهو صائم وذلك فى ١٦ ابريل عام ١٩٥٦ وحينما طعن جىء له بقدح من المـاء فـأبى ان يشربه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ويقول : أحب ان ألقى ربى وأنا صائم، هذه الدماء الزكية التى أريقت على أرض الصومال بيد الاستعمار وعملائه زادت من متانة الروابط بين البلدين فتضاعفت مساعدات مصر حتى شملت جميع أنواع النشاط من بعثات دينية وتعليمية وطبية واقتصادية واعلامية ولا يزال حتى اليوم يذكر الشعب الصومالى جميعه رجاله ونساؤه شيبه وشبانه أطفاله وبناته كمال الدين صلاح كباعث للنهضة الصومالية ويحتفل بذكرى استشهاده كل عام على المستويين الرسمى والشعبى ، ولا زالت المساعدات تتوالى من مصر الى الصومال والكفاح من أجل استقلاله حتى أعلن عن تقديم موعد الاستقلال فبعد ان كان محددا له تاريخ يوم ٢ ديسمبر عام ١٩٦٠ اذا بالاقليم الشمالى يستقل يوم ٢٦ يونيو سنة ١٩٦٠ والاقليم الجنوبى يستقل أول يوليو سنة ١٩٦٠ ويتخذ مع الاقليم الشمالى . ليكو[illegible] جمهورية الصـــــومال (١) . وبذلك أسـهمت مصر فى افسـاد المخططات الاستعمارية التى حاولت تأجيل هذا اليوم المشهود وهو يوم الاستقلال بل حاولت عرقلته لتبقى هذه البلاد نهبا للمستعمرين والمستغلين لكن بفضـل الله تعالى وبفضل الاخوة الدينية والنضال المشترك بين الشعبين الشقيقين مصر والصومال تحقق الاستقلال وصارت للدولة الجديدة عاصمة واحدة هى مقديشيو وبرلمان واحد . وعلم واحد ورئيس جمهورية واحد ، وهكذا انتقلت القومية الصومالية مـــن نصر الى نصر ويكون النصر الأكبـــر يوم تتحـد الصوماليات الخمس المستقلة تحت علم واحد ورئيس واحد ، وتصبح أقوى مركز اسلامى فى منطقة شرق أفريقيـــا ..

---

(١) ومما هو جدير بالذكر أن الدكتور محمد حسن الزيات مندوب مصر بالمجلس الاستشارى آن ذاك عندما سئل فى اجتماع لجنةالوصاية بالامم المتحدة لبحث اقتراح تقديم موعد الاستقلال : « هل يستحق الصومال الاستقلال الآن ؟ » أجاب : (أن الصومال يستحق الاستقلال منذ خلق اللهأهله أحرارا ولا يمكن أن يستعبدهم الناس) .

الفصل الثانى

الصومال بعد الاستقلال وحركة التعليم ونشر الوعى الدينى فيه

فى منتصف شهر يناير سنة ١٩٦٠ اشترك السكرتير العام للامم المتحدة فى جلسة الجمعية التشريعية الصومالية التى ناقشت مسألة منح الجمعية التشريعية سلطة الجمعية التأسيسية لسن الدستور الصومالى ، وفى هذه الجلسة التاريخية تحدث مستر داج همرشلد قائلا « ان الجمعية العامة للأمم المتحدة قد استجابت فى ٥ ديسمبر سنة ١٩٥٩ لرغباتكم المشتركة فقررت بالاجماع تعيين أول شهر يوليو عام ١٩٦٠ ليكون يوم استقلالكم، وهو يوم لا يفصلنا عنه الآن الا شهور معدودة ، وفى هذا اليوم ستصبح صوماليا دولة حرة ذات — سيادة ومستعدة لتأخذ مكانها حول موائد المجالس العالمية باعتبارها عضوا فى الأمم المتحدة ، وللصومال المستقل أن يطلب المعونة من الأمم المتحدة ، وانى أؤكد لكم أن رغبة الأمم المتحدة الصادقة هى ان تكون الصومال المستقلة عضوا قويا بالتعاون فى سبيل تحقيق هذا الغرض واسمحوا لى الآن فى صدد الحديث عن دستوركم وعن عملكم وعن استقلالكم أن أضرب المثل الصومالى الذى يقول : ان من كان ميلاده بقوة العدالة لا يمكن ان ينكر العدالة للآخرين » .

وقد واصلت الجمعية التشريعية عملها ببحث مسألتين هامتين ، فى بناء الدولة السياسى وهى مسألة تكوين جيش وطنى ، ومسألة اللغة الرسمية للدولة . وقد وافقت الجمعية التشريعية على انشاء الجيش الوطنى منفصلا عن قوة البوليس وبدىء فى تكوينه اعتبارا من ١٢ ابريل عام ١٩٦٠ أما بالنسبة للغة فقد ورد فى كلام وير العلاقات بين الحكومة والبرلمان ، وهو يتحدث باسم الحكومة — ان الحكومة ستنظر الى جميع توصياتهم بعين الاعتبار ، أما بخصوص تحديد موعد فان الامر كما يرى صعب للغاية، وانهى حديثه بقوله : ان شاء الله يتم هذا فى أسرع وقت ممكن . وبذلك تركت مسألة اللغة الرسمية للدولة حتى الآن دون اتخاذ قرار حاسم فى شأنها ..

وفى ١٦ ابريل سنة ١٩٦٠ عقد مؤتمر مشترك بين زعماء الاقليم الشمالى والاقليم الجنوبى فى مقديشيو وأصدروا بيانا مشتركا ، يعلن استقلال ووحدة الاقليمين الصوماليين فى أول يوليو عام ١٩٦٠ فى ظل علم واحد وحكومة واحدة ورئيس واحد ، وكان لقاء الاخوة حارا ومشهودا لم تشهده العاصمة من

قبل الا فى عام ١٩٥٤ حينما رفع العلم الصومالى لأول مرة ، وفى سنة ١٩٥٦ حينما احتفل بقيام أول جمعية تشريعية فكان اللقـاء بين الاقليمين ثـالث الأحداث العظيمة فى تاريخ الصومال الحديث ، وفى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف ليل أول يوليو سنة ١٩٦٠ احتشد الشعب الصومالى كله ليرى فى سماء مدينة مقديشيو العلم الصومالى بلونه السماوى ونجمته البيضاء ذات الرءوس الخمسة التى تشير الى وحدة الصوماليات الخمس ، وقـد شاهدت بنفسى هذا الحدث الكبير ، حدث انتقال السلطة من الحـاكم الايطالى الى الحاكم الوطنى آدن عبد الله عثمان ، وبدأ الرئيس عمله بارسال برقية الى حرم الشهيد كمال الدين صلاح جاء فيها . « فى هذا اليوم المجيد وهو يوم الاستقلال والوحدة نتذكر كمال الدين صلاح وجهوده كما نتذكـر من خلفه الدكتور محمد حسن الزيات . ونقدم لكم ولابنائكم أحسن التمنيات كما نقدم لكم أخلص التحية والاحترام » .

انه وفاء رائع من شعب كريم نحو شهيد ضحى بدمه فى سبيل استقلاله وحينما زارت حرم — الشهيد كمال الدين صـلاح الصـومال عام ١٩٦٢ منحتها الحكومة الصومالية الجنسية الصومالية الشرفية تقديرا لمـا بذله زوجها الشهيد من خدمات للصومال ، لقد حضرت حرم / الشهيد كمال الدين صلاح الى الصومال بدعوة من السيد رئيس الجمهورية الصومالية لهـا ولأنجاله لحضور الذكرى الخامسة لاستشهاده ، وفى الاحتفال الكبير الذى أقيم بسينما النصر بمقديشيو تحدث السيد رئيس الجمعية الوطنية قائلا : « ان الشهيد كمال شهيد النهضة السياسية ، فى الصومال بل قائدها منذ عين ممثلا لبلاده فى المجلس الاستشارى الصومالى عام ١٩٥٤ ، ولم يكن بجاريه فى نصرة كفاح الامة الصومالية منذ ذلك التاريخ أحد قط فقد كان يتتبعه من أول انطلاقه ذلك لأن كمال كان جنديا مؤيدا للحركات التحررية اينما قامت » .

وتحدث السيد / مصطفى توفيق سـفير الجمهورية العربية المتحـدة بالصومال قائلا : « هل حقق الاستعمار جريمته النكراء أهدافه ؟ ان الجواب على ذلك ماثل للعيان ، لا لبس فيه ولا ابهام هو علم حر يرتفع فى سماء بلد حر، ورئيس جمهورية كريم على رأس شعب كريم وحكومة رشيدة ، تحكم شعبا رشيدا ، اما المستعمر الآثم الفاجر فانه جمع أذيال الخزى والعار وحمل عصاه على كتفه ورحل عن البلاد التى طالما استغلها وظلم أهلها واستنزف دماءها » .

وجاء فى كلمتى التى القيتها بصفتى رئيسا للبعثة الأزهرية : « ان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وشهيدنا كمال الدين حى بتضحياته وبطولاته حى فى وجدان كل مواطن حر ، ولقـد انتقل من دار الفناء الى دار البقـاء بعد أن ترك لنـا مثلا رائعة فى الايمان والتضحية وانـكار الذات من أجل تحقيق مبدأ التضامن بين الشعوب الاسلامية » .

وجاء فى خطاب السيدة حرم الشهيد ما يأتى : « لسنا حاقدين حتى على محمد شيخ عثمان الذى امتدت يده الى ظهر كمال فطعنته ، اذ يكفى ان يكون محمد شيخ عثمان صوماليا ليستحق من كمال وهو فى جوار ربه ، ومنا نحن أسرة كمال الدين العفو والمغفرة ، فقد كان هـو كمـا كانت

الشعوب الأخرى الكثيرة فى افريقيا وآسيا ضحية لمؤامرة كبرى غايتها ان تزرع بيننا الأحقاد وان تضللنا وان تفرقنا وما أيسر ان يقع فى شباك أعدائنا شباب قليل التجربة لا يعرف اين تكون مصلحة وطنه ولا من يطعنه اذ يطعن أخاه فى الدين وفى الكفاح وفى — الهدف المشترك (١) .

وبعد الاستقلال ازدادت أواصر التعاون بين مصر والصومال فى مختلف المجالات فقد تم ما يأتى :

١ — اتفاقية للتجارة والدفع مع الجمهورية العربية المتحدة فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٠ .

٢ — اتفاقية ثقافية مع الجمهورية العربية المتحدة فى ٧ يناير سنة ١٩٦١ .

٣ — اتفاق قرض طويل الأجل مع الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٨ اغسطس سنة ١٩٦١ ومقداره ٨٠ مليون شلن صومالى يسدد على سبعة أقساط متساوية بعد السنة الأولى من استقلاله .

٤ — اتفاقية الاعلام مع الجمهورية العربية المتحدة فى ٩ يناير ١٩٦٤، أما فى قطاع التعليم ونشر الوعى الدينى فقد دعمت الحكومة المدارس القرآنية فى الصومال باعتبارها أكثر المدارس انتشارا فى المدن والبوادى على حد سواء ، والصوماليون يرسلون أبناءهم اليها قربى الى الله لانهم يتعلمون فيها القرآن الكريم واللغة العربية ، كما وحدت الحكومة بين نظم التعليم التى كانت موجودة فى الاقليم الشمالى والاقليم الجنوبى ، ولقد كان التعليم فى الاقليم الجنوبى مجانيا وتصرف الحكومة الكتب للتلاميذ ، أما فى الاقليم الشمالى فقد كان الطالب يدفع سنويا ثمانين شلنا صوماليا ويعفى الطلاب الفقراء بنسبة ٢٪ من هذه المصروفات فى المدارس المتوسطة ولقد صدر قرار بمجانية التعليم فى الاقليم الشمالى أسوة بما هو متبع فى الاقليم الجنوبى .

وقد تضاعف عدد المدارس الابتدائية فى الاقليمين ، كما انشأت الحكومة العديد من المدارس المتوسطة ، ومن هذه المدارس خمس عشرة مدرسة داخلية وعملت الحكومة على توسيع المدارس الاسلامية فى مقديشيو وبرعو بالتعاون مع الجمهورية العربية المتحدة لتخريج أكبر عدد ممكن من المصلحين التربويين لتدريس الثقافة الاسلامية واللغة العربية والدين الاسلامى وسد حاجة المدارس الابتدائية من المعلمين . كما دعمت الحكومة بتعاون البعثة الأزهرية معهد الدراسات الاسلامية بمقديشيو (٢) وهو معهد

---

(١) هذه الخطب دونتها بيدى أثناء الاحتفال ، وقد نشرتها بأكملها فى مجلة « رسالة الازهر » التى أصدرتها فى مقديشيو باسم بكتب البعثة الازهرية ، وقد اقتطفت من هذه الخطب الفقرات التى ذكرتها . (المؤلف)

(٢) عينت شيخا لهذا المعهد بقرار جمهورى صدر فى عام ١٩٥٩ وقد سعيت الى انشاء قسم التخصص به ، وخرج هذا التخصص قضاة شرعيين ممتازين ، ومدرسين لهم كفاءتهم وخبرتهم . (المؤلف)

حكومى انشىء قبل الاستقلال ودعمته الحكومة بعد الاستقلال وأنشىء فيه تخصص للقضاء وليخرج القضاة الشرعيين الدارسين لأصول الشريعة الاسلامية وتخصص للتدريس كذلك .

كما أنشأت البعثة الازهرية بمعاونة أبناء الشعب المخلصين معهد مقديشيو الدينى وهو تابع للأزهر ويسير حسب مناهجه الدراسية (١) كما اسهمت فى دعم معهد برعو الدينى فى الاقليم الشمالى ووصل المعهدان الآن فى مراحل الدراسة الى آخر السنة الثانوية .

كما أنشأت الحكومة المعاهد الفنية من تجارية وصناعية وزراعية ومعلمين كما توجد مدارس — لتعليم الكبار ، وهناك نهضة نسائية فى مجال التعليم والخدمات الاجتماعية ، وقد افتتحت فى عام ١٩٦١ بمدرسة الشهيد كمال الدين صلاح مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية للمرأة الصومالية ، وتعمل على نشر التعليم بين المرأة الصومالية وتعليمها بعض الاعمال المنزلية فى سبيل رفع مستوى المرأة الصومالية وذلك تحت رياسة حرم السيد رئيس الجمهورية الصومالية ويقوم بالتدريس فى هذه المدرسة نخبة ممتازة من المدرسات المصريات .

---

(١) وفقنى الله لانشاء هذا المعهد وأنا رئيس بعثة الازهر هناك بعد أن دعوت الى تكوين مجلس لادارته من كبار علماء الدين وأعيان البلاد ، وذلك عام ١٩٦٠ وقد اعترف الازهر به ، واعتبره ضمن معاهده الرسمية ويرسل اليه أسئلة الامتحانات العامة ، وتصحح الاجابات فى الازهر .
(المؤلف)

الفصل الثالث

الصومال بعد ثورة

٢١ اكتوبر ١٩٦٩

الصومال قطر يتمتع بموقع استراتيجى ممتاز ، فهو يقع فى مدخل البحر الاحمر جنوبا ويواجه الجزء الجنوبى من شبه جزيرة العرب ، كما يقع على ساحل المحيط الهندى ، هذا الموقع الممتاز جعل الدول الاستعمارية ترسم سياسات بعيدة المدى لربطه بها ، حتى تتحكم فى هذه المنطقة الهامة من افريقيا ، وفضلا عن ذلك ففيه ثروات معدنية وزراعية تحتاج الى بذل قليل من الجهد العلمى والمادى لتملأ البلاد خيرا وغيرا ، ويضاف الى ذلك وهو سبب رئيسى صلة الاخوة التى تربط بين الشعبين الصومالى والعربى ، لدرجة أننا نسمع كثيرا من ينادى هناك بوجوب الانضمام الى الجامعة العربية .... لذلك ركزت الدول الاستعمارية على تثبيت أقدامها فى هذا القطر العزيز ، والاستعمار الآن لم يعد استعمار جيوش ولكنه يتبع طريق السيطرة الاقتصادية والاحتكارات والاستغلال المالى وبذلك يجعل الدولة تابعة له فى سياستها وفى اقتصادها بدون أن يوجد جندى واحد أجنبى على أرض ، تلك البلاد — ان فى الصومال اتفاقية مع الولايات المتحدة بشأن تقديم مساعدات للصومال عن طريق شركة ايكا فى مايو عام ١٩٦١ وعن هذا الطريق ملأت البلاد بالخبراء والفنيين وانشأت المدارس لتعليم اللغة الانجليزية ورسمت تخطيطا لتكوين جيل من الموالين لهم .

وهناك اتفاقيات مالية واقتصادية مع ايطاليا فى ٣ نوفمبر عام ١٩٦١ وهى دولة كانت مستعمرة ، لهذا الاقليم ولغاتها لا تزال هى لغة المثقفين والعاملين فى الدواوين الحكومية فلها اذن مطامع وهناك اتفاق مع السوق الاوربية المشتركة لبناء مستشفى مقديشيو فى أول فبراير ١٩٦١ .

وغير ذلك من الاتفاقات سواء مع دول المعسكر الغربى أو الشرقى وقد وجد المخلصون من شباب هذا البلد أن بلادهم تنساق فى تيار الدول الأجنبية ، وأن هناك اتجاهات لربط البلاد بالنفوذ الاستعمارى وأن هناك بعض الزعماء الذين لم يقدروا خطورة التيار الذى انساقوا اليه وقد تفشى الفساد والرشوة فى البلد وان الصومال أخذ يبتعد رويدا رويدا عن أشقائه العرب فقامت طليعة من شباب القوات المسلحة بقيادة البطل اللواء محمد سياد برى بالثورة على هذه الأوضاع الفاسدة وتفجرت يوم ٢١ اكتوبر سنة ١٩٦٩ واستولت على مقاليد الحكم — وقامت بأحداث تغيير شامل فى أوضاع البلاد الاقتصادية والثقافية والسياسية — وانضمت

الصومال بذلك الى ركب الدول الثورية المتحررة ومدت ثورة مصر فى شمال أفريقيا يدها الى شقيقتها ثورة الصومال فى شرق أفريقيا ، ومضت الثورتان فى خط نضالى واحد هو محاربة الاستعمار فى كل أشكاله ومحاربة الامبريالية العالمية والصهيونية الغادرة والقضاء على الاستغلال والفساد .. ومما يملأ النفوس بهجة واعزازا ان كثيرا من هؤلاء الشباب الاحرار تلقوا تعليمهم فى مصر وتأثروا بثورتها وما احدثته من تغييرات جذرية فى المنطقة كلها .

ومما يشرح الصدر كذلك ان بعض هؤلاء الضباط الاحرار كانوا طلابا لى فى معهد الدراسات الاسلامية بمقديشيو وكانوا يستجيبون لدواعى الوطنية والتحرر ، وكان يبدو عليهم وهم فى مستهل حياتهم انهم أمل أمتهم المرتجى وغدهم المشرق ، لايمانهم بربهم واخلاصهم لوطنهم وتعلقهم بمصر وبأزهرها الشريف وكانوا كما توقعنا لهم . طلائع الثوار الاحرار .

خاتمة

مقترحات

أولا : فى جانب اللغة :

رأينا ان اللغة التى يعرفها الشعب كله ، ويقدسها كل التقديس هى لغة القرآن الكريم وهى لغة التوثيق والعقود والتعليم من قديم ، ولهـــذا دعى الشعب كله ممثلا فى هيئاته وجمعياته وأحزابه الى أن تكون هى اللغة الرسمية والشـــعبية للبـــلاد وجاء الاســـتقلال وظهـــرت دعوة تدعو الى كتـــابة اللغة الصومالية ، فبماذا تكتب ؟؟ ان هناك أقلية تقول : تكتب بالحروف اللاتينية ، وهناك من يقول : تكتب بحروف جديدة أسمها حروف عثمانية نسبة الى مخترعها ، وهناك تيار جارف يقول : تكتب بالحروف العربية . . . ان الأقلية التى تقول باللاتينية تساندها قوى أجنبية مختلفة ، فماذا فعلنا فى سبيل تأييد كتابتها بالحروف العربية ؟؟

وماذا فعلنا من أجل تنشيط الدعوة للغة العربية بحيث تكون لغة التعليم فى جميع مراحله ، ولغة الدواوين ومصالح الحكومة اننا لم نبذل الكثير بدليل ما سمعته قريبا من نشاط اللغة الايطالية واللغة الانجليزية .

اننى أريد ما يأتى : ـــ

ـــ نشر الثقافة العربية عن طريق انشاء مدارس عليا لتعليم اللغة العربية.

٢ ـــ دعم معهد الدراسات الاسلامية فهو معهد حـــكومى وشـــهادته معترف بهـــا .

وكان فيه تخصصان للتدريس وللقضاء الشرعى وعلمت أخيرا أن نشاطه بدأ يتقلص أمام موجات معاهد المعلمين التى أنشأتها أمريكا وايطاليا ومدارس تعليم اللغـــات الانجليزية والايطالية والروسية .

٣ ـــ حينما كنت رئيسا للبعثة الأزهرية أنشأت أول مجلة دينية باللغة العربية اسمها « رسالة الأزهر » وهى شهرية ووضعت على غلافها صورة الجامع الأزهر وكنا نوزعها هدايا من باب نشر الثقـــافة العربيـــة على الصوماليين فى مختلف الأقاليم ونرسلها الى كينيـــا وتنجانيقيـــا وعدن ولقد كان الشعب كله وبخاصة المثقفين يتلقونها ويحتفظون بها ويقرءونها كلمة كلمة طوال الشهر وقد علمت انها تقلصت الآن ، أو توقف ظهورها . وأريد ان تعود وان تنشط . وأن يزداد العدد الذى يطبع منها ويوزع على أوسع نطـــاق .

٤ ـــ أريد أن نغمر البلد بالكتب والمطبوعات العربية بحيث يكون فى كل مسجد مكتبة دينية وفى كل مدرسة وبيد كل طالب مجموعة من الكتب العربية.

٦ — واخيرا يجب على كل من يختار للعمل هناك فى أى مجال من مجالات العمل أن يكون متدينا بفطرته ، وأن تكون له دراية بالأحكام الدينية العامة ، وان يكون محافظا بصفة خاصة على الصلاة ويحسن اداؤها فى المسجد ما آمكن ذلك ، كذلك يجب الالتزام بفريضة الصيام مع مراعاة آدابه . ويجب تنحية الأفلام السينمائية التى توحى بالتحلل والخلاعة ، لأنهم يعتبرون مصر قدوة لهم فى كل شىء ، ويعتبرون كل مصرى متدينا بفطرته ، وبحكم نشأته فى ظلال الأزهر الشريف .

٧ — على الدعاة بصفة خاصة أن يدعو الناس بالكلمة الطيبة مع الصبر على تساؤلاتهم ومناقشتهم مع تطبيق قوله تعالى :

(أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن) .

٨ — لو خطط للدعوة هناك تخطيطا علميا مدروسا يمكن أن تنطلق الدعوة من هناك الى أثيوبيا وكينيا وسائر القبائل فى تلك المنطقة الهامة من شرق أفريقيا وبذلك نؤدى لديننا بعض ما يجب له من حق الدعوة اليه فهو دين عام خالد ورسوله أرسل الى الناس كافة تحقيقا لقوله تعالى : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) .. (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا نذيرا) ..

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل ..

(عبد الرحمن محمد النجار)

الفهرس

رقم الصفحة

لماذا اخترت هذا البحث ؟؟ ٧
مقدمة ١٣
١ ـ الاسلام فى افريقيا ١٥
٢ ـ كيف دخل الاسلام الى افريقيا ١٦

الباب الأول :

الملامح العامة للبيئة الصومالية ٢١

الفصل الأول : البيئة الطبيعية ٢٣
الفصل الثانى : الجانب الاقتصادى ٢٩
الفصل الثالث : الجانب الاجتماعى ٣٥
الفصل الرابع : الجانب الثقافى ٣٩

الباب الثانى :

الارتباط العضوى بين مصر والصومال فى الماضى والحاضر ٤٩

الفصل الأول : عصر ما قبل التاريخ ٥١
الفصل الثانى : العصر الفرعونى ٥٣
الفصل الثالث : الصومال وبلاد العرب ٥٥

الباب الثالث :

الصومال الاسلامى ٥٧

الفصل الأول : تاريخ دخول الاسلام الى الصومال . . ٥٩
الفصل الثانى : عوامل انتشار الاسلام ٦٣
الفصل الثالث : الطرق الصوفية وأثرها فى نشر الاسلام . ٦٧
الفصل الرابع : أثر مساجد الصومال فى الحفاظ على الشريعة
الاسلامية واللغة العربية ٨١